

حِراسةُ التّوحيد

سماحة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



قرأه وقدّم له فضيلة الشيخ العلاّمة

عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين

بإشراف : مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

حراسة التوحيد

للإمام
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
رحمه الله

قرأه وقدّم له فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م



المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٣٥٦
تلفون: ٤٢٨٥٣٩٠ - فاكس: ٢٦٧٢٥٥٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمــة

الحمدُ لله المتوحِّد بصفات الكمال، المُنَزَّه عن الأنداد والأمثال، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الإنعام والأفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل مَن نَطَقَ وقال، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأصحاب والآل.

أما بعد، فهذه رسائل ومسائل مما أملاه شيخنا وإمامنا سماحة الشيخ الكبير عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله وأَكْرَم مَثْواه، وكلّها تتعلّق بالتوحيد ووجوبه على العباد، والتحذير من الشرك الأكبر والأصغر ووسائله وذرائعه مما هو متمكن في كثير من البلاد الإسلامية، كدعاء الأموات، والطواف بالقبور والاعتكاف حولها، والذبح لغير الله من المشاهد والمزارات والبِقاع ونحوها، والنذر للأموات والتعلّق عليهم واعتقاد أنهم يجلبون الخير ويدفعون الشر وينفعون مَن استجار بهم، وكذا أنواع من الشرك الأصغر كالحلف بغير الله، وقول هذا من الله وفلان، إلى غير ذلك مما قد فشى في ربوع الكثير من البلاد التي تتسمّى بالإسلام وفيها القبور داخل المساجد وفيها الكثير من البدع والمحدثات، ففي هذه الرسائل إقامة الأدلة الواضحة من الكتاب والسُّنَّة وإيضاح الحق مما يدل على وجوب صرف العبادة كلها لله تعالى وإخلاص الدين له وترك الشرك بوسائله ولو سمي توسلاً واستشفاعاً وتبرُّكاً وتقرُّباً. فلعل مَن قرأ هذه الرسائل بإنصاف وتعقّل أن يعرف التوحيد الصحيح ويتقرب به إلى الله تعالى ويدعو إليه إخوانه ومَن حوله ممَّن انخدع بكثرة أهل الغواية والضلالة فرحم الله شيخنا وقدَّس روحه ونوَّر ضريحه، ونسأل الله أن ينفع بعلومه وأن يتغمَّده برحمته وسائر علماء المسلمين وعموم الصالحين من المؤمنين، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
٤/ ١١/ ١٤٢٣هـ

العقيدة الصحيحة وما يضادها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فلمَّا كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام، وأساس المِلَّة، رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة، ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنَّة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتُقبَل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرَّع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥﴾.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد دلَّ كتاب الله المبين وسُنَّة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقَدَرِ خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام، ويتفرَّع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أَخبَرَ الله به ورسوله ﷺ، وأدلَّة هذه الأصول السِّتَّة في الكتاب والسُّنَّة كثيرة جدًّا، فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ

أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

أما الأحاديث الصحيحة الدالَّة على هذه الأصول فكثيرة جدًّا، منها الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال له: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقَدَر خيره وشره» الحديث، وأخرجه الشيخان مع اختلاف يسير من حديث أبي هريرة، وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه، وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

فمن الإيمان بالله سبحانه، الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه؛ لكونه خالِق العباد، والمُحْسِن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالِم بسرّهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خَلَقَ الله الثَّقَلين وأَمَرهم بها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا

أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لبيان هذا الحق والدعوة إليه، والتحذير مما يضاده، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال عز وجل: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾، وحقيقة هذه العبادة: هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبَّد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة، على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته، وغالِب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم، كقوله سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾، وقوله سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقوله عز وجل: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾، وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

ومن الإيمان بالله أيضاً: الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفَرَضَه

عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة، وهي: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهَّر، وأهم هذه الأركان وأعظمها: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فشهادة أن لا إلـه إلا الله تقتضي: إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عمَّا سِواه، وهذا هو معنى لا إلـه إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فكل ما عُبِدَ من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾. وقد سبق بيان أن الله سبحانه خَلَقَ الثَّقَلَين لهذا الأصل الأصيل وأَمَرَهم به، وأرسل به رُسُله وأنزل به كُتُبه، فتأمَّل ذلك جيداً وتدبَّره كثيراً؛ ليتضح لك ما وَقَعَ فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل حتى عَبَدُوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقِّه لسواه، فالله المستعان.

ومن الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه خالِق العالَم ومدبِّر شئونهم والمتصرِّف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالِك الدنيا والآخرة، وربّ العالمين جميعاً لا خالِق غيره، ولا ربَّ سواه، وأنه أرسل الرُّسل وأنزل الكُتُب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

ومن الإيمان بالله أيضاً: الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تُمرَّ كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بما دلَّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عزَّ وجل يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾، وهذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان، وهي التي نَقَلَها الإمام: أبوالحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: (المقالات) عن أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة، ونَقَلَها غيره من أهل العلم والإيمان.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُئِل الزهري ومكحول عن آيات الصفات، فقالا: أمرُّوها كما جاءت، وقال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُئِل مالك والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات، فقالوا جميعاً: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول إن الله سبحانه على عرشه، ونؤمن بما وَرَدَ في السُّنَّة من الصفات، ولمَّا سُئِل ربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ مالك رحمة الله عليهما عن الاستواء قال: «الاستواء

غير مجهول، والكيف غير معقول، ومِن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق»، ولمَّا سُئِل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، ثم قال للسائل: ما أراك إلا رجل سوء، وأمر به فأُخرِج، وروي هذا المعنى عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وقال الإمام أبوعبدالرحمن عبدالله بن المبارك رحمة الله عليه: «نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سمٰواته على عرشه بائن من خلقه»، وكلام الأئمة في هذا الباب كثير جدًّا لا يمكن نقله في هذه المحاضرة، ومَن اراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كَتَبَه علماء السُّنَّة في هذا الباب مثل كتاب (السُّنَّة) لعبدالله بن الإمام أحمد، و(التوحيد) للإمام الجليل محمد بن خزيمة، وكتاب (السُّنَّة) لأبي القاسم اللالكائي الطبري، وكتاب (السُّنَّة) لأبي بكر بن أبي عاصم، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، وهو جواب عظيم كثير الفائدة قد أوضح فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السُّنَّة، ونَقَلَ فيه الكثير من كلامهم والأدلَّة الشرعية والعقلية على صحة ما قاله أهل السُّنَّة، وبطلان ما قاله خصومهم، وهكذا رسالته الموسومة بـ(التدمرية) قد بَسَطَ فيها المقام وبيَّن فيها عقيدة أهل السُّنَّة بأدلَّتها النقلية والعقلية، والردّ على المخالفين بما يُظْهِر الحق، ويَدْمَغ الباطل لكل مَن نظر في ذلك من أهل العلم، بقصد صالح ورغبة في معرفة الحق، وكل مَن خالَف أهل السُّنَّة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات، فإنه يقع ولابد في مخالفة الأدلَّة النقلية والعقلية مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه.

أما أهل السُّنَّة والجماعة أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ في سنَّته، إثباتاً بلا تمثيل، ونزَّهوه سبحانه عن مشابهة خَلْقِه تنزيهاً بريئاً من التعطيل ففازوا بالسلامة من التناقض، وعملوا بالأدلة كلها، وهذه سُنَّة الله سبحانه فيمن تمسَّك بالحق الذي بَعَثَ به رُسُله، وبَذَلَ وِسْعَه في ذلك وأَخْلَص لله في طَلَبه، أن يوفِّقه للحق ويُظْهِر حجَّته، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾. وقد ذَكَرَ الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره المشهور عند كلامه على قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الآية، كلاماً حسناً في هذا الباب يحسن نقله هاهنا لعظم فائدته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه: «للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادَر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: مَن شبَّه الله بخلقه كَفَر، ومَن جَحَدَ ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وَصَف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمَن أثبت لله تعالى ما وَرَدَت به الآيات الصريحة

والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائض فقد سَلَكَ سبيل الهُدىٰ» انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ .

وأمَّا الإيمان بالملائكة فيتضمن: الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خَلَقَهم لطاعته، وَوَصَفَهم بأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾. وهم أصناف كثيرة منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خَزَنَة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد، ونؤمن على سبيل التفصيل بمَن سمَّى الله ورسوله منهم، كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكَّل بالنفخ في الصُور، وقد جاء ذِكْرُهم في أحاديث صحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلِقَ الجان من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدم مما وصف لكم» خرَّجه مسلم في صحيحه، وهكذا الإيمان بالكُتُب يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورُسُله؛ لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ الآية.

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمَّى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن

والمصدِّق لها، وهو الذي يجب على جميع الأُمَّة اتباعه وتحكيمه مع ما صحَّت به السُّنَّة عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله سبحانه بَعَثَ رسوله محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الثَّقَلَين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور، وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهكذا الرُّسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رُسُلاً منهم مبشرين ومنذرين ودُعاة إلى الحق، فمَن أجابهم فاز بالسعادة، ومَن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾. ومَن سمَّى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنَّا به على سبيل التفصيل والتعيين، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم صلى الله وسلم عليهم وعلى آلهم وأتباعهم.

وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخْبرَ الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، أو مِن وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بيَّنه الله ورسوله ﷺ.

وأما الإيمان بالقَدَر فيتضمن: الإيمان بأمور أربعة:

أولها: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾. وقال عز وجل: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾﴾.

والأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدَّره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾، وقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

الأمر الرابع : خلقه سبحانه لجميع الموجودات ، لا خالق غيره ولا ربَّ سواه ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السُّنَّة والجماعة خلافاً لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع ، ويدخل في الإيمان بالله اعتقادِ أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر كالزنا ، والسرقة وأكل الربا وشرب المسكرات ، وعقوق الوالدين ، وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك ؛ لقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ،

ولما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أن الله يُخْرِج مِن النار مَن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ومن الإيمان بالله الحب في الله والبُغض في الله ، والموالاة في الله والمعاداة في الله ، فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم ، ويُبْغِض الكُفَّار ويعاديهم ، وعلى رأس المؤمنين من هذه الأُمَّة أصحاب رسول الله ﷺ ، فأهل السُّنَّة والجماعة يحبونهم ويوالونهم ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء ؛ لقول النبي ﷺ : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»

متفق على صحته، ويعتقدون أن أفضلهم أبوبكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، وبعدهم بقية العشرة، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ويمسكون عمَّا شَجَرَ بين الصحابة، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون، مَن أصاب فله أجران ومَن أخطأ فله أجر، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ المؤمنين به، ويتولونهم ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويترضون عنهن جميعاً، ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجلّ، كما يتبرؤن من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

وجميع ما ذكرناه في هذه الكلمة الموجزة داخل في العقيدة الصحيحة التي بَعَثَ الله بها رسوله محمداً ﷺ، وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السُّنَّة والجماعة التي قال فيها النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي على الحق منصورة لا يضرُّهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» فقال الصحابة: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «**مَن كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وهي العقيدة التي يجب التمسُّك بها والاستقامة عليها والحَذَر ممَّا خالفها.

وأمَّا المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدّها فهم أصناف

كثيرة، فمنهم عُبَّاد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجِن والأشجار والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرُّسل، بل خالفوهم وعاندوهم كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد ﷺ، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى والنصر على الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم، فلمَّا أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده استغربوا ذلك وأنكروه وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾، فلم يزل ﷺ يدعوهم إلى الله وينذرهم من الشرك ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتى هدى الله منهم من هدى، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجاً، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة، وجهاد طويل من رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ثم تغيَّرت الأحوال وغَلَبَ الجهل على أكثر الخَلْق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية، بالغُلُو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنى لا إلـٰه إلا الله، كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان.

ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غَلَبَة الجهل وبُعْد العهد بعصر النبوَّة.

وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين، وهي قولهم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وقد أبطل الله هذه الشبهة وبيَّن أن مَن عَبَدَ غيره كائناً مَن كان فقد أشرك به، وكفر، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، فردَّ الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾، فبيَّن سبحانه في هذه الآية أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء، أو غيرهم، هي الشرك الأكبر، وإن سمَّاها فاعلوها بغير ذلك، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، فردَّ الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾، فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كُفرٌ به سبحانه، وأكذبهم في قولهم: إن آلهتهم تُقَرِّبُهُم إليه زُلفى.

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة، والمخالِفة لما جاءت به الرُّسل عليهم الصلاة والسلام: مايعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما، من دُعاة الإلحاد والكفر، سواء سمّوا ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء، فإن منْ أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ومَن نَظَرَ في كتبهم ودَرَسَ ما هم عليه عَلِمَ ذلك يقيناً، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية، ومُفْضِيَة بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض المتصوِّفة من أن بعض مَن يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شؤون العالَم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير

ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدَّة فيخلصون لله العبادة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية.

والثانية: شركهم في الرخاء والشدة، كما يعلم ذلك مَن خالطهم وسَبَرَ أحوالهم، ورأى ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن وابن عربي في الشام، والشيخ عبدالقادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة وصرفوا لها الكثير من حق الله عز وجل، وقلَّ مَن يُنكِر عليهم ذلك ويُبيِّن لهم حقيقة التوحيد الذي بَعَثَ الله به نبيّه محمداً ﷺ، ومَن قبله من الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونسأله سبحانه أن يردَّهم إلى رشدهم، وأن يُكثِر بينهم دُعاة الهدى، وأن يوفِّق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا

الشرك والقضاء عليه ووسائله، إنه سميع قريب.

ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات: عقائد أهل البدع: من الجهمية، والمعتزلة، ومَن سَلَكَ سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيراً، ويدخل في ذلك مَن نفى بعض الصفات وأثبت بعضها، كالأشاعرة، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه في الصفات التي نفوها، وتأوَّلوا أدلَّتها، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية، وتناقضوا في ذلك تناقُضاً بيِّناً، أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات على وجه الكمال، ونزَّهوه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من شائبة التعطيل، فعملوا بالأدلة كلها ولم يحرِّفوا ولم يعطِّلوا، وسلموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم - كما سبق بيان ذلك - وهذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الصراط المستقيم الذي سَلَكَه سلف هذه الأُمَّة وأئمَّتها، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح به أوَّلهم وهو اتباع الكتاب والسُّنَّة، وترك ما خالفهما.

والله وليُّ التوفيق، وهو سبحانه حسبنا ونِعْمَ الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلا به، وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وآله وصحبه.[1]

---

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الأول (١٣-٢٧).

إقامة البراهين على حكم مَن استغاث بغير الله أو صدّق الكَهَنَة والعرّافين

تقديم:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فلمَّا كانت عقيدة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه دعوة محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والتي هي في الحقيقة امتداد لدعوة الرُّسل جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، وكان من صميم الاعتقاد بهذه الدعوة هو محاربة البِدَع والأباطيل، بشتَّىٰ أشكالها، فإنه يجب على كل مسلم أن يتبصَّر في دينه، ويعبد الله تعالىٰ طِبْقاً لِمَا جاءت به الشريعة الإسلامية.

ولقد كان المسلمون الأوائل مِن سَلَف الأمَّة، على هدى من أمر دينهم؛ ذلك لأن أعمالهم بل وجميع شئونهم، كانت على وفق ما جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة.

ثم لمَّا انحرف أكثر المسلمين عن هذا المنهج القويم ـ منهج الكتاب والسُّنَّة ـ في عقائدهم وأعمالهم، تفرَّقوا شِيَعاً وأحزاباً في العقائد، والمذاهب، في السياسة والأحكام، وكان من نتائج هذا الانحراف أن فَشَت فيهم البِدَع والأباطيل والشعوذة، وأصبح ذلك مدخلاً لأعداء

الإسلام في الطعن على الإسلام وأهله.

ولقد حذَّر علماء الإسلام ـ في مؤلَّفاتهم ـ قديماً وحديثاً من هذه البِدَع.

وقد سَاهَمْت في ذلك بثلاث رسائل مجموعة:

الأولى: في حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

الثانية: في حكم الاستغاثة بالجِن والشياطين والنذر لهم.

الثالثة: في حكم التعبُّد بالأوراد البدعية والشركية.

والرئاسة ـ وهي حاملة لواء الدعوة الإسلامية في هذه البلاد المباركة ـ تضع بين يديك أيها القارئ الكريم هذه الرسائل الثلاث، مساهمة منها في محاربة البِدَع والخرافات، ورفع المستوى الثقافي والفَهْم الحقيقي للإسلام.

نسأل الله العلي القدير أن ينفع بها عباده، والله وليُّ التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

الرسالة الأولى

في حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهُداه، أما بعد.

فقد نَشَرَت صحيفة المجتمع الكويتية في عددها (١٥) الصادر ١٩/ ٤/ ١٣٩٠هـ، أبياتاً تحت عنوان (في ذكرى المولد النبوي الشريف)، تتضمَّن الاستغاثة بالنبي ﷺ والاستنصار به لإدراك الأُمَّة ونصرها وتخليصها ممَّا وقعت فيه من التفرُّق والاختلاف، بإمضاء مَن سمَّت نفسها (آمنة)، وهذا نص من الأبيات المُشار إليها:

يا رسول الله أدرك عالماً ... يشعل الحرب ويصلى من لظاها
يا رسول الله أدرك أمة ... في ظلام الشك قد طال سراها
يا رسول الله أدرك أمة ... في متاهات الأسى ضاعت رؤاها

إلى أن قالت:

عجل النصر كما عجلته ... يوم بدر حين ناديت الإلهَ
فاستحال الذل نصراً رائعاً ... إن لله جنوداً لا تراها

(الله أكبر هكذا توجِّه هذه الكاتبة نداءها واستغاثتها إلى الرسول ﷺ طالبةً منه إدراك الأُمَّة بتعجيل النصر، ناسية أو جاهلة أن النصر بيدِ الله وحده، ليس ذلك بيدِ النبي ﷺ ولا غيره من المخلوقات، كما قال الله

سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾، وقال عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾، وقد علم بالنص والإجماع أن الله سبحانه خَلَق الخَلْق ليعبدوه، وأرسل الرُّسل وأنزل الكُتُب، لبيان تلك العبادة، والدعوة إليها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال عز وجل: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾، فأوضح سبحانه في هذه الآيات المحكمات أنه لم يخلق الثَّقَلَين إلا ليعبدوه وحده، لا شريك له، وبيَّن أنه أرسل الرُّسل عليهم الصلاة والسلام بهذه العبادة والنهي عن ضدها، وأخبر عز وجل أنه أحكم آيات كتابه وفصَّلها لئلا يعبد غيره سبحانه، والعبادة هي توحيده وطاعته، بامتثال أوامره وترك نواهيه، وقد أمر الله بذلك في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآية، وقوله عز وجل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه من الأنبياء وغيرهم، ولا ريب أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها فوجب إخلاصه لله وحده كما قال عز وجل: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ

ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم؛ لأن (أحدا) نكرة في سياق النهي، فتعم كل من سوى الله سبحانه، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾، وهذا خطاب للنبي ﷺ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك وإنما أراد من ذلك تحذير غيره، ثم قال عز وجل: ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾، فإذا كان سيد ولد ادم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين، فكيف بغيره، والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾، فعلِمَ بهذه الايات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأصنام وغيرها، شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها، وأرسل الرُّسل وأنزل الكتب لبيانها، والدعوة إليها، وهذا معنى (لا إله إلا الله)، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾، وهذا هو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾، ودين الإسلام مبني على أصلين عظيمين: أحدهما: أن لا يُعبد إلا الله وحده، والثاني: أن لا يُعبد إلا بشريعة نبيه

ورسوله ﷺ، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فمَن دعا الأموات من الأنبياء وغيرهم، أو دعا الأصنام أو الأشجار، أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات، أو استغاث بهم، أو تقرَّب إليهم بالذبائح والنذور، أو صلَّى لهم، أو سجد لهم، فقد اتَّخذهم أرباباً من دون الله، وجَعَلَهم أنداداً له سبحانه، وهذا يناقِض هذا الأصل، وينافي معنى لا إله إلا الله، كما أن مَن ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾، وهذه الأعمال هي أعمال مَن مات على الشرك بالله عز وجل، وهكذا الأعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله، فإنها تكون يوم القيامة هباءً منثوراً، لكونها لم توافق شرعه المطهَّر، كما قال النبي ﷺ: «مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَد» متفق على صحَّته، وهذه الكاتبة قد وجَّهت استغاثتها ودعاءها للرسول ﷺ، وأعرضت عن رب العالمين الذي بيده النصر والضر والنفع، وليس بيد غيره شيء من ذلك. ولا شك أن هذا ظلم عظيم وخيم، وقد أمر الله عز وجل بدعائه سبحانه، ووعد مَن يدعوه بالاستجابة، وتوعَّد مَن استكبر عن ذلك بدخول جهنم، كما قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي صاغرين ذليلين، وقد دلَّت هذه الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة، وعلى أن مَن استكبر عنه فمأواه جهنم، فإذا كانت هذه حال مَن استكبر عن دعاء الله، فكيف تكون حال مَن دعا غيره، وأعرض عنه، وهو سبحانه القريب المالِك لكل شيء، والقادر على

كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾، وقد أخبر الرسول ﷺ في الحديث الصحيح أن الدعاء هو العبادة، وقال لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» أخرجه الترمذي وغيره.

وقال ﷺ: «مَن مات وهو يدعو لله نِدًّا دَخَلَ النار» رواه البخاري، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سُئِل: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلَقَك»، والنِد: هو النظير والمثيل، فكل مَن دعا غير الله، أو استغاث به أو نَذَرَ له، أو ذبح له أو صَرَفَ له شيئاً من العبادة سوى ما تقدَّم، فقد اتخذه نِدًّا، سواء كان نبيًّا أو وليًّا، أو ملكاً أو جنيًّا، أو صنماً، أو غير ذلك من المخلوقات، أما سؤال الحي الحاضر بما يقدر عليه، والاستعانة به في الأمور الحسيّة، التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك، بل من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾، وكما قال تعالى في قصة موسى أيضاً: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب، وغيرها من الأمور التي تعرض للناس، ويحتاجون فيها إلى بعضهم ببعض، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخبر أمَّته أنه لا يملك لأحد نفعاً ولا ضرًّا، فقال في سورة الجن: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا

شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهو ﷺ لا يدعو إلا ربه، وكان في يوم بدر يستغيث بالله، ويستنصره على عدوه ويلح في ذلك، ويقول: «يا رب، أنجز لي ما وعدتني» حتى قال الصدِّيق الأكبر أبوبكر رضي الله عنه: حسبك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك، وأنزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، فذكرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم، وأخبر أنه استجاب لهم بإمدادهم بالملائكة، ثم بيَّن سبحانه أن النصر ليس من الملائكة، وإنما أمدَّهم بهم، للتبشير بالنصر، والطمأنينة، وبيَّن أن النصر من عنده، فقال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقال عز وجل في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾، فبيَّن في هذه الآية: أنه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر، فعلم بذلك أن ما أعطاهم من السلاح والقوة، وماأمدَّهم به من الملائكة، كل ذلك من أسباب النصر، والتبشير والطمأنينة، وليس النصر منها، بل هو من عند الله وحده، فكيف يجوز لهذه الكاتبة أو غيرها أن توجه استغاثتها وطلبها النصر إلى النبي ﷺ، وتعرض عن رب العالمين، المالك لكل شيء والقادر على كل شيء؟!

لا شك أن هذا من أقبح الجهل، بل من أعظم الشرك، فالواجب

على الكاتبة أن تتوب إلى الله سبحانه توبة نصوحاً، وذلك بالندم على ما وقع منها، والإقلاع منه، والعزم على عدم العود إليه، تعظيماً له وإخلاصاً له، وامتثالاً لأمره وحذراً مما نهى عنه، هذه هي التوبة النصوح، وإذا كانت من حق المخلوقين وجب في التوبة أمر رابع، وهو رد الحق إلى مستحقه، أو تحلله منه، وقد أمر الله عباده بالتوبة، ووعدهم قبولها كما قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، وقال في حق النصارى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تجبُّ ما كان قبلها**»، ولعظم خطر الشرك، وكونه أعظم الذنوب، وخشية الاغترار بما صدر من هذه الكاتبة، ولوجوب النُصح لله ولعباده، حررت هذه الكلمة الموجزة، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعاً، وأن يمن علينا جميعاً بالفقه في الدين، والثبات عليه، وأن يعيذنا والمسلمين من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

الرسالة الثانية

في حكم الاستغاثة بالجن والشياطين والنذر لهم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى مَن يراه من المسلمين، وفَّقني الله وإياهم للتمسُّك بدينه، والثبات عليه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان عمَّا يفعله بعض الجُهَّال، من دعاء غير الله سبحانه، والاستنجاد به في المهمَّات، كدعاء الجن والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم وشبه ذلك، ومن ذلك قول بعضهم: (يا سبعة، خذوه)، يعني بذلك: سبعة من رؤساء الجن، يا سبعة افعلوا به كذا، اكسروا عظامه، اشربوا دمه، مثِّلوا به، ومن ذلك قول بعضهم: (خذوه يا جن الظهيرة، يا جن العصر)، وهذا يوجد كثيراً في بعض الجهات، ومما يلتحق بهذا الأمر دعاء الأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم، ودعاء الملائكة والاستغاثة بهم، فهذا كله وأشباهه واقعٌ من كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، جهلاً منه وتقليداً لمن قبله، وربما سهل بعضهم في ذلك بقوله: هذا شيء يجري على اللسان، لا نقصده، ولا نعتقده، وسألني أيضاً: عن حكم مناكحة مَن عُرف بهذه الأعمال، وذبائحهم والصلاة عليهم وخلفهم، وعن تصديق المشعوذين والعرَّافين، كمن يدَّعي معرفة المرض وأسبابه بمجرد إشرافه على شيء مما مسَّ جسد المريض، كالعمامة والسراويل

والخِمار وأشباه ذلك.

والجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالىٰ قد خَلَقَ الثَّقَلَين ليعبدوه، دون كل ما سواه، وليَخُصُّوه بالدعاء والاستغاثة، والذبح والنذر وسائر العبادات، وقد بَعَثَ الرُّسل بذلك، وأَمَرَهم به، وأنزل الكُتُب السماوية التي أعظمها القرآن الكريم ببيان ذلك والدعوة إليه، وتحذير الناسِ من الشرك بالله وعبادة غيره، وهذا هو أصل الأصول، وأساس المِلَّة والدين، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي الألوهية وهي العبادة عن غير الله، وتثبت العبادة لله وحده، دون ما سواه من سائر المخلوقات، والأدلة على هذا من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ كثيرة جدًّا، منها قوله عزَّ وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، وقوله سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فبيَّن سبحانه في هذه الآيات أنه خَلَقَ الثقلين لعبادته، وأنه قضى أن لا يُعْبَد إلا هو سبحانه وتعالى، ومعنى قضى: أَمَرَ وأوصى، فهو سبحانه أَمَرَ عباده وأوصاهم في مُحْكَم القرآن، وعلى لسان الرسول عليه الصلاة والسلام، ألا يعبدوا إلا ربهم، وأوضح جلَّ

وعلا أن الدُّعاء عبادة عظيمة، مَن استكبر عنها دَخَلَ النار، وأَمَرَ عباده أن يدعوه وحده، وأخبر أنه قريب يجيب دعوتهم، فوَجَبَ على جميع العباد أن يَخُصُّوا ربَّهم بالدعاء؛ لأنه نوع من العبادة التي خُلِقُوا لها، وأُمِرُوا بها، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾، أَمَرَ الله نبيّه ﷺ أن يُخْبِر الناس أن صلاته ونُسُكه، وهو الذبح، ومَحْيَاه ومماته لله رب العالمين لا شريك له، فمَن ذَبَحَ لغير الله فقد أشرك بالله، كما لو صلَّى لغير الله؛ لأن الله سبحانه جَعَلَ الصلاة والذبح قرينين، وأخبر أنهما لله وحده لا شريك له، فمن ذبح لغير الله من الجن والملائكة والأموات وغيرهم، يتقرَّب إليهم بذلك، فهو كمَن صلَّى لغير الله، وفي الحديث الصحيح يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لَعَنَ الله مَن ذَبَحَ لغير الله» وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن طارق بن شهاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يُقَرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قَرِّب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً فخلُّوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب، قال: ما كنت لأُقَرِّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» فإذا كان مَن تقرَّب إلى الصنم ونحوه بالذباب ونحوه يكون مشركاً، يستحق دخول النار، فكيف بمَن يدعو الجن والملائكة والأولياء، ويستغيث بهم، وينذر لهم، ويتقرب إليهم، بالذبائح يرجو بذلك حفظ ماله، أو شفاء مريضه، أو سلامة دوابه وزرعه، أو يفعل ذلك خوفاً من شر الجن، أو ما أشبه ذلك، فهذا

وأشباهه أولى بأن يكون مشركاً، مستحقًا لدخول النار من هذا الرجل الذي قرَّب الذباب للصنم، ومما وَرَدَ في ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨ ﴾.

أخبر الله سبحانه في هاتين الآيتين، أن المشركين اتخذوا من دونه أولياء من المخلوقات، يعبدونهم معه بالدعاء والخوف، والرجاء والذبح، والنذر ونحو ذلك، زاعمين أن أولئك الأولياء يُقَرِّبُون مَنْ عَبَدَهُم إلى الله، ويشفعون لهم عنده، فأكذبهم الله سبحانه، وأوضح باطلهم، وسمَّاهم كَذَبَة وكفَّاراً ومشركين، ونزَّه نفسه عن شركهم فقال جل وعلا: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨ ﴾، فعُلِم بذلك أن مَن اتَّخذ ملكاً، أو نبياً، أو جِنِّيًا أو شجراً أو حجراً يدعوه مع الله، ويستغيث به، ويتقرَّب إليه، بالنذر والذبح، رجاء شفاعته عند الله، وتقريبه لديه، أو رجاء شفاء المريض، أو حفظ المال، أو سلامة الغائب، أو ما شابه ذلك، فقد وقع في هذا الشرك العظيم، والبلاء الوخيم، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢ ﴾،

والشفاعة إنما تحصل يوم القيامة لأهل التوحيد والإخلاص، لا لأهل الشرك، كما قال النبي ﷺ لمَّا قيل له: يا رسول الله، مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَن قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»، وقال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمَّتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله مَن مات من أمَّتي لا يُشْرِك بالله شيئاً».

وكان المشركون الأولون يؤمنون بأن الله ربَّهم وخالقهم ورازقهم، وإنما تعلَّقوا على الأنبياء والأولياء والملائكة، والأشجار والأحجار وأشباه ذلك، يرجون شفاعتهم عند الله، وتقريبهم لديه كما سبق في الآيات، فلم يعذرهم الله بذلك، ولم يعذرهم رسول الله ﷺ، بل أنكر الله عليهم في كتابه العظيم، وسمَّاهم كفاراً ومشركين، وأكذبهم في زعمهم أن هذه الآلهة تشفع لهم، وتقربهم إلى الله زلفى وقاتلهم الرسول ﷺ على هذا الشرك حتى يخلصوا العبادة لله وحده، عملاً بقوله سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾. وقال الرسول ﷺ: «أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»، ومعنى قوله ﷺ: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»: أي حتى يَخُصُّوا الله بالعبادة، دون كل ما سواه، وكان المشركون يخافون من الجن ويعوذون بهم، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾، قال أهل التفسير في الآية

الكريمة: معنى قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: أي ذعراً وخوفاً؛ لأن الجن تتعاظم في نفسها وتتكبَّر، إذا رأت الإنس يستعيذون بها، وعند ذلك يزدادون لهم إخافة وإذعاراً، حتى يكثروا من عبادتهم، واللجوء إليهم، وقد عوَّض الله المسلمين عن ذلك: الاستعاذة به سبحانه، وبكلماته التامة، وأنزل في ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»، ومما تقدَّم من الآيات والأحاديث، يعلم طالب النجاة، والراغب في الحفاظ على دينه، والسلامة من الشرك، دقيقه وجليله، أن التعلُّق بالأموات والملائكة والجن وغيرهم من المخلوقات، ودعاءهم والاستعاذة بهم ونحو ذلك من عمل أهل الجاهلية المشركين، ومن أقبح الشرك بالله سبحانه، فالواجب تركه والحذر من ذلك والتواصي بتركه، والإنكار على مَن فعله، ومَن عُرف من الناس بهذه الأعمال الشركيَّة لم تجز مناكحته، ولا أكل ذبيحته، ولا الصلاة عليه، ولا الصلاة خلفه، حتى يُعلِن التوبة إلى الله سبحانه من ذلك، ويخلص الدعاء والعبادة لله وحده والدعاء هو العبادة، بل مُخُّها، كما قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، وروي عنه ﷺ في لفظ آخر أنه قال: «**الدعاء مخ العبادة**»، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا

وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾، فنهى الله سبحانه المسلمين عن التزوج بالمشركات، من عُبَّاد الأوثان والجن والملائكة وغير ذلك، حتى يؤمنّ بإخلاص العبادة لله وحده، وتصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، واتّباع سبيله، ونهى عن تزويج المشركين بالنساء المسلمات، حتى يؤمنوا بإخلاص العبادة لله وحده، وتصديق الرسول ﷺ، واتباعه، وأخبر سبحانه أن الأمة المؤمنة خير من الحرَّة المشركة، ولو أعجبت من ينظر إليها، ويسمع كلامها، بجمالها وحُسن كلامها، وأن العبد المؤمن خير من الحر المشرك، ولو أعجب سامعه والناظر إليه، بجماله وفصاحته وشجاعته وغير ذلك، ثم أوضح أسباب هذا التفضيل بقوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾.

يعني بذلك: المشركين والمشركات؛ لأنهم من دعاة النار بأقوالهم وأعمالهم وسيرتهم وأخلاقهم، أما المؤمنون والمؤمنات فهم من دعاة الجنة بأخلاقهم وأعمالهم وسيرتهم، فكيف يستوي هؤلاء وهؤلاء! وقال جل وعلا في شأن المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾، فأوضح جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافق والكافر لا يصلى عليهما؛ لكفرهما بالله ورسوله، وهكذا لا يصلى خلفهما، ولا يجعلان أئمة للمسلمين؛ لكفرهما وعدم أمانتهما، وللعداوة العظيمة التي بينهما وبين المسلمين، ولأنهما ليسا من أهل الصلاة والعبادة؛ لأن الكفر والشرك لا يبقى معهما عمل، نسأل الله العافية من ذلك. وقال عز وجل

في تحريم الميتة وذبائح المشركين: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾، نهى عز وجل المسلمين عن أكل الميتة وذبيحة المشرك؛ لأنه نجس فذبيحته في حكم الميتة، ولو ذكر اسم الله عليها؛ لأن التسمية منه باطلة لا أثر لها؛ لأنها عبادة، والشرك يحبط العبادة ويبطلها، حتى يتوب المشرك إلى الله سبحانه، وإنما أباح عز وجل طعام أهل الكتاب في قوله سبحانه: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾؛ لأنهم ينتسبون إلى دين سماوي، ويزعمون أنهم من أتباع موسى وعيسى، وإن كانوا في ذلك كاذبين. وقد نسخ الله دينهم وأبطله ببعث محمد ﷺ إلى الناس عامة، ولكن الله جلَّ وعلا أحلَّ لنا طعام أهل الكتاب، ونساءهم، لحكمة بالغة وأسرار مرعيَّة، قد وضَّحها أهل العلم بخلاف المشركين من عُبَّاد الأوثان والأموات، من الأنبياء والأولياء وغيرهم؛ لأن دينهم لا أصل له، ولا شبهة فيه، بل هو باطل من أساسه، فكانت ذبيحة أهله ميتة، ولا يُباح أكلها، وأما قول الشخص لمن يخاطبه: (جن أصابك)، (جن أخذك)، (شيطان طار بك)، وما أشبه ذلك. فهذا من باب السب والشتم، وذلك لا يجوز بين المسلمين، كسائر أنواع السب والشتم، وليس ذلك من باب الشرك، إلا أن يكون قائل ذلك يعتقد أن الجن يتصرفون في الناس بغير إذن الله ومشيئته، فمن اعتقد ذلك في الجن أو غيرهم من المخلوقات، فهو كافر بهذا الاعتقاد؛ لأن الله سبحانه هو المالِك لكل شيء والقادر على كل شيء، وهو النافع الضار ولا يوجد شيء إلا بإذنه، ومشيئته وقدره

السابق، كما قال عز وجل آمراً نبيه ﷺ أن يخبر الناس بهذا الأصل العظيم: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾، فإذا كان سيد الخلق وأفضلهم عليه الصلاة والسلام، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا، إلا ما شاء الله، فكيف بغيره من الخلق! والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما سؤال العرَّافين والمشعوذين والمُنَجِّمين وأشباههم، ممَّن يتعاطى الأخبار عن المغيبات، فهو منكر لا يجوز، وتصديقهم أشد وأنكر، بل هو من شعب الكفر؛ لقول النبي ﷺ: «**مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**» رواه مسلم في صحيحه، وفي صحيحه أيضاً عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن إتيان الكُهَّان وسؤالهم وأخرج أهل السُّنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. فالواجب على المسلمين: الحذر من سؤال الكهنة والعرَّافين، وسائر المشعوذين، المشتغلين بالأخبار عن المغيبات، والتلبيس على المسلمين، سواء كان باسم الطب أو غيره، لما تقدم من نهي النبي ﷺ عن ذلك، وتحذيره منه، ويدخل في ذلك ما يدَّعيه بعض الناس باسم الطب، من الأمور الغيبية، إذا شم عمامة المريض، أو خمار المريضة، أو نحو ذلك، قال: هذا المريض أو هذه المريضة فعل كذا، وصنع كذا، من أمور الغيب التي ليس في عمامة المريض ونحوها دلالة عليها، وإنما القصد من ذلك

التلبيس على العامة حتى يقولوا إنه عارف بالطب، وعارف بأنواع المرض وأسبابه، وربما أعطاهم شيئاً من الأدوية فصادف الشفاء بقدر الله، فظنوا أنه بأسباب دوائه، وربما كان المرض بأسباب بعض الجن والشيطان، الذين يخدمون ذلك المدعي للطب، ويخبرونه عن بعض المغيبات التي يطّلعون عليها فيعتمد على ذلك ويرضي الجن والشياطين بما يناسبهم من العبادة، فيرتفعون عن ذلك المريض، ويتركون ما قد تلبسوا به معه من الأذى، وهذا شيء معروف عن الجن والشياطين ومن يستخدمهم.

فالواجب على المسلمين: الحذر من ذلك، والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه، والتوكل عليه في كل الأمور. ولا بأس بتعاطي الرقى الشرعية والأدوية المباحة، والعلاج عند الأطباء الذين يستعملون الكشف على المريض، والتأكد من مرضه، بالأسباب الحسيّة والمعقولة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله مَن جهله**»، وقال ﷺ: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برَأ بإذن الله**»، وقال ﷺ: «**عباد الله، تداووا ولا تداووا بحرام**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فنسأل الله عز وجل أن يُصْلِح أحوال المسلمين جميعاً، وأن يشفي قلوبهم وأبدانهم، من كل سوء، وأن يجمعهم على الهدى، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن، ومن طاعة الشيطان وأوليائه، إنه على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

الرسالة الثالثة
في حكم التعبُّد بالأوراد البدعية والشركية

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم (. . . . . .) وفَّقه الله لكل خير آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فقد وصل إليَّ كتابُكم الكريم وصَلَكُم الله بهُداه، وما تضمَّنه من الإفادة أنه يوجد في بلادكم أُناس متمسكون بأوراد ما أنزل الله بها من سلطان، منها ما هو بدعي، ومنها ما هو شركي، وينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، ويقرؤون تلك الأوراد في مجالس الذِّكر، أو في المساجد بعد صلاة المغرب، زاعمين أنها قربة إلى الله، كقولهم: بحق الله، رجال الله، أعينونا بعون الله، وكونوا عوننا بالله، وكقولهم: يا أقطاب، ويا أسياد، أجيبوا يا ذوي الأمداد فينا، واشفعوا لله، هذا عبدكم واقف، وعلى بابكم عاكف، ومن تقصيره خائف، أغثنا يا رسول الله، وما لي غيركم أذهب، ومنكم يحصل المطلب، وأنتم أهل الله، بحمزة سيد الشهداء، ومن منكم لنا مدداً، أغثنا يا رسول الله، وكقولهم: اللهم صلِّ على مَن جعلته سبباً لانشقاق أسرارك الجبروتية وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية، فصار نائباً عن الحضرة الربانية، وخليفة أسرارك الذاتية، ورغبتكم في بيان ما هو بدعة، وما هو شرك، وهل تصح الصلاة خلف الإمام الذي

يدعو بهذا الدعاء، كل ذلك كان معلوماً؟

والجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بهُداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فاعلم وفَّقك الله، أن الله سبحانه إنما خَلَقَ الخَلْق وأرسل الرُّسل عليهم الصلاة والسلام ليعبد وحده لا شريك له، دون كل ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

والعبادة: هي طاعته سبحانه وطاعة رسوله محمد ﷺ، بفعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، عن إيمان بالله ورسوله، وإخلاص لله في العمل، مع غاية الحب لله، وكمال الذل له وحده، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾، اي أمَرَ وأوصى بأن يُعْبَد وحده، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾، أبان سبحانه بهذه الآيات أنه هو المستحق لأن يُعْبَد وحده، ويُستعَان به وحده، وقال عز وجل: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على: وجوب إفراد الله بالعبادة، ومعلوم أن الدعاء بأنواعه من العبادة، فلا يجوز لأحد من الناس أن يدعو إلا ربَّه، ولا يستعين ولا يستغيث إلا به، عملاً بهذه الآيات الكريمة، وما جاء في معناها، وهذا فيما عدا الأمور العادية، والأسباب الحسيّة، التي يقدر عليها المخلوق الحي

الحاضر، فإن تلك ليست من العبادة، بل يجوز بالنص والإجماع أن يستعين الإنسان بالإنسان الحي القادر، في الأمور العادية التي يقدر عليها، كأن يستعين به، أو يستغيث به في دفع شر ولده أو خادمه أو كلبه وما أشبه ذلك، وكأن يستعين الإنسان بالإنسان الحي الحاضر القادر، أو الغائب بواسطة الأسباب الحسيَّة كالمكاتبة ونحوها في بناء بيته، أو إصلاح سيارته، أو ما أشبه ذلك، ومن هذا الباب قول الله عز وجل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾.

ومن ذلك استغاثة الإنسان بأصحابه في الجهاد والحرب، ونحو ذلك، فأما الاستغاثة بالأموات والجن والملائكة، والأشجار والأحجار فذلك من الشرك الأكبر، وهو من جنس عمل المشركين الأولين مع آلهتهم كالعزى واللات وغيرهما، وهكذا الاستغاثة والاستعانة بمَن يعتقد فيهم الولاية من الأحياء، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كشفاء المرضى، وهداية القلوب، ودخول الجنة، والنجاة من النار وأشباه ذلك، والآيات السابقات وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث، كلها تدل على وجوب توجيه القلوب إلى الله في جميع الأمور، وإخلاص العبادة لله وحده؛ لأن العباد خُلِقوا لذلك، وبه أُمِرُوا كما سبق في الآيات، وكما في قوله سبحانه: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وقول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» متفق على صحته، وقوله ﷺ في

حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «مَن مات وهو يدعو لله نِدًّا دَخَلَ النار» رواه البخاري، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لمَّا بَعَثَ مُعاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله»، وفي لفظ: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، وفي رواية البخاري: «فادعهم إلى أن يوحِّدوا الله»، وفي صحيح مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَن وحَّد الله وكَفَرَ بما يُعْبَد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهذا التوحيد هو أصل دين الإسلام، وهو أساس الملة، وهو رأس الأمر، وهو أم الفرائض، وهو الحكمة في خَلْق الثَّقَلَين، والحكمة في إرسال الرُّسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام، كما تقدَّمت الآيات الدالَّة على ذلك، ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾، وقال عز وجل عن نوح وهود وصالح وشُعيب عليهم الصلاة والسلام، أنهم قالوا لقومهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾، وهذه دعوة الرُّسل جميعاً، كما دلَّت على ذلك الآيتان السابقتان، وقد اعترف أعداء الرُّسل بأن الرُّسل أمروهم بإفراد الله بالعبادة، وخَلْع الآلهة المعبودة من دونه، كما قال عز وجل في قصة عاد، أنهم قالوا لهود عليه الصلاة والسلام:

﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾، وقال سبحانه وتعالى عن قريش لمَّا دعاهم نبينا محمد ﷺ إلى إفراد الله بالعبادة، وترك ما يعبدون من دونه من الملائكة، والأولياء والأصنام والأشجار وغير ذلك: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾، وقال عنهم سبحانه وتعالى في سورة الصافات: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ ﴾.

والآيات الدالَّة على هذا المعنى كثيرة، ومما ذكرناه من الآيات والأحاديث، يتضح لك ـ وفَّقني الله وإياك للفقه في الدين، والبصيرة بحق رب العالمين ـ أن هذه الأدعية وأنواع الاستغاثة التي بيَّنتها في سؤالك، كلها من أنواع الشرك الأكبر؛ لأنها عبادة لغير الله، وطلب لأمور لا يقدر عليها سواه، من الأموات والغائبين، وذلك أقبح من شرك الأولين؛ لأن الأولين إنما يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيخلصون لله العبادة؛ لأنهم يعلمون أنه سبحانه هو القادر على تخليصهم من الشدة دون غيره، كما قال تعالى في كتابه المبين عن أولئك المشركين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ ﴾، وقال سبحانه وتعالى يخاطبهم في آية أخرى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾، فإن قال قائل من هؤلاء المشركين المتأخرين: إنا لا نقصد أن أولئك يفيدون بأنفسهم، ويشفون مرضانا بأنفسهم، أو ينفعونا بأنفسهم، أو يضرونا بأنفسهم، وإنما نقصد شفاعتهم إلى الله في ذلك؟

فالجواب: أن يُقال له:

إن هذا هو مقصد الكفار الأولين ومُرادهم، وليس مرادهم أن آلهتهم تَخلِق أو تَرْزُق، أو تنفع أو تضر بنفسها، فإن ذلك يبطله ما ذكره الله عنهم في القرآن، وأنهم أرادوا شفاعتهم وجاههم، وتقريبهم إلى الله زُلفىٰ، كما قال سبحانه وتعالى في سورة يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، فردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾، فأبان سبحانه أنه لا يعلم في السموات ولا في الأرض شفيعاً عنده على الوجه الذي يقصده المشركون، وما لا يعلم الله وجوده لا وجود له؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء.. وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، فأبان سبحانه أن العبادة له وحده، وأنه يجب على العباد إخلاصها له جلَّ وعلا؛ لأن أمره للنبي ﷺ بإخلاص العبادة له، أمر للجميع.. ومعنى الدين هنا هو

العبادة، والعبادة هي طاعته وطاعة رسوله ﷺ كما سلف، ويدخل فيها الدعاء والاستغاثة، والخوف، والرجاء والذبح والنذر، كما يدخل فيها الصلاة والصوم وغير ذلك، مما أَمَرَ الله به ورسوله، ثم قال عز وجل بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفىٰ، فَرَدَّ الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾، فأوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة: أن الكفار ما عَبَدُوا الأولياء من دونه إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، وهذا هو مقصد الكفار قديماً وحديثاً، وقد أبطل الله ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾، فأوضح سبحانه كذبهم في زعمهم أن آلهتهم تقرِّبهم إلى الله زُلفىٰ، وكفرهم بما صرفوا لها من العبادة، وبذلك يعلم كل مَن له أدنىٰ تمييز أن الكفار الأولين إنما كان كفرهم باتخاذهم الأنبياء والأولياء، والأشجار والأحجار وغير ذلك من المخلوقات شُفعاء بينهم وبين الله، واعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم من دون إذنه سبحانه ولا رضاه، كما تشفع الوزراء عند الملوك، فقاسوه عز وجل على الملوك والزعماء، وقالوا: كما أنه مَن له حاجة إلى الملك والزعيم يتشفَّع إليه بخواصه ووزرائه، فهكذا نحن نتقرَّب إلى الله بعبادة أنبيائه وأوليائه، وهذا مِن أبطل الباطل؛ لأنه سبحانه لا شبيه له، ولا يُقاس بخلقه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير،

وبكل شيء عليم، وهو أرحم الراحمين، لا يخشى أحداً ولا يخافه؛ لأنه سبحانه هو القاهر فوق عباده، والمتصرِّف فيهم كيف يشاءُ، بخلاف الملوك والزعماء، فإنهم ما يقدرون على كل شيء، فلذلك يحتاجون إلى مَن يعينهم على ما قد يعجزون عنه، من وزرائهم وخواصهم وجنودهم، كما يحتاجون إلى تبليغهم حاجات مَن لا يعلمون حاجته، فيحتاجون إلى مَن يستعطفهم ويسترضيهم من وزرائهم وخواصهم، أمَّا الرب عز وجل فهو سبحانه غني عن جميع خلقه، وهو أرحم بهم من أمَّهاتهم، وهو الحاكم العدل، يضع الأشياء في مواضعها، على مقتضى حكمته وعلمه وقدرته، فلا يجوز أن يُقاس بخلقه بوجه من الوجوه، ولهذا أوضح سبحانه في كتابه: أن المشركين قد أقرُّوا بأنه الخالِق الرازق المدبِّر، وأنه هو الذي يجيب المضطر، ويكشف السوء، ويحيي ويميت، إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه، وإنما الخصومة بين المشركين وبين الرُّسل في إخلاص العبادة لله وحده، كما قال عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وسبق ذِكْر الآيات الدالَّة على أن النزاع بين الرُّسل وبين الأُمم، إنما هو في إخلاص العبادة لله وحده، كقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾، وما جاء في معناها من الآيات، وبيَّن سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم شأن الشفاعة، فقال تعالى في سورة

البقرة: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، وقال في سورة النجم: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وقال في سورة الأنبياء في وصف الملائكة: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾، وأخبر عز وجل أنه لا يَرْضَىٰ من عباده الكفر، وإنما يَرْضَىٰ منهم الشكر، والشكر هو توحيده والعمل بطاعته، فقال تعالى في سورة الزمر: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَن قال لا إله إلا الله خالصاً مِن قلبه»، أو قال: «من نفسه»، وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله مَن مات مِن أمّتي لا يُشرِك بالله شيئاً»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وجميع ما ذكرنا من الآيات والأحاديث كله يدل على أن العبادة حق الله وحده، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، لا للأنبياء ولا لغيرهم، وأن الشفاعة ملك لله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الآية، ولا يستحقها أحد إلا بعد إذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما سبق، أما المشركون فلا حظ لهم في الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾، والظلم عند

الإطلاق هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾، أما ما ذَكَرْته في السؤال من قول بعض الصوفية في المساجد وغيرها: اللهم صلِّ على مَن جعلته سبباً لانشقاق أسرارك الجبروتية، وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية، فصار نائباً عن الحضرة الربانيَّة، وخليفة أسرارك الدنيويَّة... إلخ.

والجـواب:

أن يُقال: إن هذا الكلام وأشباهه من جملة التكلُّف والتنطُّع، الذي حذَّر منه نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطِّعون» قالها ثلاثاً، قال الإمام الخطابي رحمه الله: المتنطِّع: المتعمِّق في الشيء المتكلِّف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

وقال أبوالسعادات ابن الأثير: هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمِّق قولاً وفعلاً.

وبما ذكره هذان الإمامان من أئمة اللغة، يتضح لك ولكل مَن له أدنىٰ بصيرة، أن هذه الكيفية في الصلاة والسلام على نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ من جملة التكلُّف والتنطُّع المنهي عنه، والمشروع للمسلم في هذا الباب أن يتحرَّى الكيفية الثابتة عن رسول الله ﷺ في صفة الصلاة والسلام عليه، وفي ذلك غُنية عن غيره، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن كعب بن عُجرة

رضي الله عنه، أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله، أُمِرْنا أن نُصلِّي عليك، فكيف نُصَلِّي عليكَ؟ فقال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارِك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»، وفي الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قولوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريَّته كما صليت على آل إبراهيم، وبارِك على محمد وعلى أزواجه وذريَّته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**» وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال بشير بن سعد: يا رسول الله، أُمِرْنا أن نُصَلِّي عليك، فكيف نُصَلِّي عليك؟ فسكت، ثم قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارِك على محمد وعلى آل محمد كما بارَكت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**».

فهذه الألفاظ وأشباهها وغيرها مما ثبت عن النبي ﷺ هي التي ينبغي للمسلم أن يستعملها في صلاته وسلامه على رسول الله ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ هو أعلم الناس بما يليق أن يستعمل في حقه، كما أنه أعلم الناس بما ينبغي أن يستعمل في حق ربه من الألفاظ، أما الألفاظ المتكلفة والمُحْدَثة، والألفاظ المحتملة لمعنى غير صحيح كالألفاظ التي ذكرت في السؤال، فإنه لا ينبغي استعمالها؛ لما فيها من التكلُّف، ولكونها قد تُفَسَّر بمعان باطلة، مع كونها مخالفة للألفاظ التي اختارها

رسول الله ﷺ وأرشد إليها أمَّته، وهو أعلم الخَلْق وأنصحهم وابعدهم عن التكلُّف، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة في بيان حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، والفرق بين ما كان عليه المشركون الأولون، والمشركون المتأخرون في هذا الباب، وفي بيان كيفية الصلاة المشروعة على رسول الله ﷺ كفاية ومقنع لطالب الحق، أما مَن لا رغبة له في معرفة الحق فهذا تابع لهواه، قال الله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥٠ ﴾.

فبيَّن سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الناس بالنسبة إلى ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ مِن الهدى ودين الحق قسمان: أحدهما: مستجيب لله ولرسوله، والثاني: تابع لهواه، وأخبر سبحانه أنه لا أضلَّ ممن اتَّبع هواه بغير هُدى من الله.

فنسأل الله عز وجل العافية مِن اتِّباع الهوى، كما نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا من المستجيبين لله ولرسوله ﷺ، والمعظِمين لشرعه، والمحذِّرين من كل ما يخالِف شرعه من البِدَع والأهواء، إنه جواد كريم، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين[1].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الأول (١٤٩-١٧٧).

التحذير من البدع

الرسالة الأولى
في حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن اهتدىٰ بهُداه، أما بعد:

فقد تكرَّر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ، والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يُفعَل في المولد.

والجواب أن يُقال: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البِدَع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسُّنَّة، وأكمل حبًّا لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه ممَّن بعدهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن أحْدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَد» أي: مردود عليه، وقال في حديث آخر: «عليكم بسنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعَضوا عليها بالنواجِذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البِدَع، والعمل بها، وقد

قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة. وإحداث مثل هذه الموالد يُفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمَّة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يُبلِّغ ما ينبغي للأُمَّة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذَن به، زاعمين أن ذلك مما يقرِّبهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتمَّ عليهم النعمة.

والرسول ﷺ قد بلَّغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصِّل إلى الجنة ويباعِد من النار إلا بيَّنه للأمَّة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» رواه مسلم في صحيحه. ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً ونُصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالِد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأُمَّة، أو فعله في

حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلمَّا لم يقع شيء من ذلك عُلِم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذَّر الرسول ﷺ منها أمَّته، كما تقدَّم ذِكر ذلك في الحديثين السابقين، وقد جاء في معناهما أحاديث أُخر، مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» رواه مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرَّح جماعة من العلماء بإنكار الموالِد والتحذير منها، عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالَف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات، كالغلو في رسول الله ﷺ، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهَّر، وظنُّوا أنها من البدع الحسنة، والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾، وقد رددنا هذه المسألة وهي: الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به، ويحذِّرنا عمَّا نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمَّة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا، وأمرنا باتِّباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك ـ أيضاً ـ إلى سُنَّة الرسول ﷺ فلم نجد فيها

أنه فعله، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبُّه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق، وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة مَن يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يُعْرَف بكثرة الفاعلين، وإنما يُعْرَف بالأدلَّة الشرعيَّة، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد ـ مع كونها بدعة ـ لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء، ودعائه والاستغاثة به، وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس، حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم بالأولياء، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم والغُلُو في الدين، فإنما أهلَك مَن كان قبلكم الغلو في الدين**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا**

عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» خرجه البخاري في صحيحه، من حديث عمر رضي الله عنه، ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويتخلَّف عمَّا أوجب الله عليه من حضور الجُمَع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأساً، ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً، ولا شكَّ أن ذلك من ضعف الإيمان وقلَّة البصيرة، وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين. ومن ذلك: أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل، وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين، عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

وقال النبي ﷺ: «أنا أول مَن ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفَّع» عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام. فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات، إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجُهَّال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل

الله بها من سلطان، والله المستعان وعليه التُكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القُرُبات، ومن الأعمال الصالحات، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾، وقال النبي ﷺ: «مَن صلَّىٰ عليَّ واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً»، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة، وسُنَّة مؤكَّدة في مواضع كثيرة: منها ما بعد الأذان، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام، وفي يوم الجمعة وليلتها، كما دلَّت على ذلك أحاديث كثيرة.

والله المسؤول أن يوفِّقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه، وأن يمن على الجميع بلزوم السُّنَّة، والحذر من البدعة، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

الرسالة الثانية

حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فلا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالَّة على صدق رسوله محمد ﷺ، وعلى عِظَم منزلته عند الله عز وجل، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوِّه سبحانه وتعالى على جميع خلقه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾، وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عُرِج به إلى السموات، وفُتِحَت له أبوابها حتى جاوَز السماء السابعة، فكلَّمه ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة، فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف، حتى جعلها خمساً، فهي خمس في الفرض، وخمسون في الأجر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج، لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله

الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصُّوها بشيء من العبادات، ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها، ولم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبيَّنه الرسول ﷺ للأُمَّة، إما بالقول وإما بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعُرِف واشتُهِر، ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأُمَّة، ولم يفرِّطوا في شيء من الدين، بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس، وقد بلَّغ الرسالة غاية البلاغ، وأدَّى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه، فلمَّا لم يقع شيء من ذلك، عُلِمَ أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأُمَّة دينها، وأتمَّ عليها النِّعمة، وأنكر على مَن شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، وقال عز وجل في سورة الشورى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾. وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: التحذير من البدع، والتصريح بأنها ضلالة، تنبيهاً للأُمَّة على عظم خطرها، وتنفيراً لهم من اقترافها، ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن أحدَثَ في أمرِنا

هذا ما ليس منه فهو رَد».

وفي رواية لمسلم: «مَن عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَد»، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» زاد النسائي بسند جيد: «وكل ضلالة في النار»، وفي السُنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع، فأوصِنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن السلف الصالح بعدهم، التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم، وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام المحذِّرة من البِدَع والمنفِّرة منها.

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة كفاية ومقنع لطالِب الحق في إنكار هذه البدعة: أعني بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والتحذير منها، وأنها ليست من دين الإسلام في شيء، ولما أوجب الله من النصح للمسلمين، وبيان ما شرع الله لهم من الدين، وتحريم كتمان العلم، رأيت تنبيه إخواني المسلمين على هذه البدعة، التي قد فَشَت في كثير من الأمصار، حتى ظنها بعض الناس من الدين، والله المسؤول أن يُصْلِح أحوال المسلمين جميعاً، ويمنحهم الفقه في الدين، ويوفقنا وإياهم للتمسُّك بالحق والثبات عليه، وترك ما خالفه، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

الرسالة الثالثة

حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذي أكمَلَ لنا الدين وأتمَّ علينا النِّعمة، والصلاة والسلام على نبيّه ورسوله محمد نبي التوبة والرحمة. أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ الآية من سورة المائدة، وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الآية من سورة الشورى، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته، ولم يتوف نبيه عليه الصلاة والسلام إلا بعدما بلّغ البلاغ المبين، وبيَّن للأمَّة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال، وأوضح ﷺ أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه إلى دين الإسلام من أقوال أو أعمال، فكله بدعة مردود على مَن أحدثه، ولو حسن قصده، وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ الأمر، وهكذا علماء الإسلام بعدهم، فأنكروا

البدع وحذروا منها، كما ذكر ذلك كل مَن صنَّف في تعظيم السُّنَّة وإنكار البدعة، كابن وضَّاح، والطرطوشي، وأبي شامة وغيرهم.

ومن البدع التي أحدثها بعض الناس: بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها، فكله موضوع، كما نبَّه على ذلك كثير من أهل العلم، وسيأتي ذكر بعض كلامهم إن شاء الله. وورد فيها أيضاً آثار عن بعض السلف من أهل الشام وغيرهم، والذي أجمع عليه جمهور العلماء: أن الاحتفال بها بدعة، وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة، وبعضها موضوع، وممَّن نبَّه على ذلك الحافظ ابن رجب، في كتابه: (لطائف المعارف) وغيره، والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي قد ثبت أصلها بأدلة صحيحة، أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان، فليس لها أصل صحيح حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة.

وقد ذكر هذه القاعدة الجليلة الإمام: أبوالعباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنا أنقل لك أيها القارئ، ما قاله بعض أهل العلم في هذه المسألة، حتى تكون على بيِّنة في ذلك، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن الواجب: رد ما تنازَع فيه الناس من المسائل إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سُنَّة رسول الله ﷺ، فما حَكَمَا به أو أحدهما فهو الشرع الواجب الاتِّباع، وما خالفهما وجب اطِّراحه، وما لم يرد فيهما من

العبادات فهو بدعة لا يجوز فعله، فضلاً عن الدعوة إليه وتحبيذه، كما قال سبحانه في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية من سورة الشورى، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الآية من سورة آل عمران، وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي نص في وجوب رد مسائل الخلاف إلى الكتاب والسُّنَّة، ووجوب الرضى بحكمهما، وأن ذلك هو مقتضى الإيمان، وخير للعباد في العاجل والآجل، وأحسن تأويلاً: أي عاقبة، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه: (لطائف المعارف) في هذه المسألة ـ بعد كلام سبق ـ ما نصه:

«وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام؛ كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر وغيرهم، يعظِّمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان، اختلف الناس في ذلك فمنهم من قبله منهم، ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عبَّاد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز، منهم: عطاء، وابن أبي مليكة، ونقله عبدالرحمن بن زيد بن

أسلم، عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالِك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة، واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين:

أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم، ويتبخرون ويتكحلون، ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك، وقال في قيامها في المساجد جماعة: ليس ذلك ببدعة، نقله حرب الكرماني في مسائله.

والثاني: أنه يُكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالِمهم، وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى، إلى أن قال: ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان، ويتخرَّج في استحباب قيامها عنه روايتان: من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد، فإنه (في رواية) لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه، واستحبَّها (في رواية)، لفعل عبدالرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف، لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام».

انتهى المقصود من كلام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه التصريح منه بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في

ليلة النصف من شعبان، وأما ما اختاره الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ من استحباب قيامها للأفراد، واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول، فهو غريب وضعيف؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً، لم يجز للمسلم أن يحدِّثه في دين الله، سواء فعله مفرداً أو في جماعة، وسواء أسرَّه أو أعلنه؛ لعموم قول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» وغيره من الأدلة الدالَّة على إنكار البِدَع والتحذير منها.

وقال الإمام أبوبكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه: (الحوادث والبدع) ما نصه:

«وروى ابن وضَّاح عن زيد بن أسلم، قال: ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول، ولا يرون لها فضلاً على ما سواها». وقيل لابن أبي مليكة: إن زياداً النميري يقول: «إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر»، فقال: «لو سمعته وبيدي عصا لضربته». وكان زياد قاصًّا، انتهى المقصود. وقال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في (الفوائد المجموعة) ما نصَّه:

«حديث: «**يا علي، مَن صلَّى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، عشر مرَّات قضى الله له كل حاجة**»... إلخ. هو موضوع، وفي ألفاظه المصرَّحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمتري إنسان له تمييز في وضعه، ورجاله مجهولون، وقد روي من طريق ثانية وثالثة كلها موضوعة ورواتها

مجاهيل، وقال في (المختصر): حديث صلاة نصف شعبان باطل، ولابن حبان من حديث علي: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها»، ضعيف. وقال في (اللآلئ): «مائة ركعة في نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات» مع طول فضله، للديلمي وغيره موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاث مجاهيل ضعفاء، قال: «واثنتا عشرة ركعة بالإخلاص ثلاثين مرّة، موضوع، وأربع عشرة ركعة»، موضوع.

وقد اغترَّ بهذا الحديث جماعة من الفقهاء كصاحب (الإحياء) وغيره، وكذا من المفسرين، وقد رويت صلاة هذه الليلة ـ أعني: ليلة النصف من شعبان ـ على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة، ولا ينافي هذا رواية الترمذي من حديث عائشة لذهابه ﷺ إلى البقيع، ونزول الرب ليلة النصف إلى سماء الدنيا، وأنه يغفر لأكثر من عدة شعر غنم كلب، فإن الكلام إنما هو في هذه الصلاة الموضوعة في هذه الليلة، على أن حديث عائشة هذا فيه ضعف وانقطاع، كما أن حديث علي الذي تقدَّم ذِكْره في قيام ليلها، لا ينافي كون هذه الصلاة موضوعة، على ما فيه من الضَّعف حسبما ذكرناه» انتهى المقصود.

وقال الحافظ العراقي: «حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله ﷺ وكذب عليه، وقال الإمام النووي في كتاب (المجموع): «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء، ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان

مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب: (قوت القلوب)، و(إحياء علوم الدين)، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنَّف ورقات في استحبابهما، فإنه غالط في ذلك».

وقد صنَّف الشيخ الإمام أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً نفيساً في إبطالهما، فأحسن فيه وأجاد، وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جداً، ولو ذهبنا ننقل كل ما اطلعنا عليه من كلام في هذه المسألة لطال بنا الكلام، ولعلَّ فيما ذكرنا كفاية ومقنعاً لطالب الحق، ومما تقدَّم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم، يتضَّح لطالِب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها، وتخصيص يومها بالصيام بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم، وليس له أصل في الشرع المطهر، بل هو مما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم، ويكفي طالب الحق في هذا الباب وغيره قول الله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾. وما جاء في معناها من الآيات، وقول النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وما جاء في معناها من الأحاديث، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخصُّوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يومها بالصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم». فلو كان تخصيص شيء من

الليالي، بشيء من العبادة جائزاً، لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها؛ لأن يومها هو خير يوم طلعت عليه الشمس، بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فلما حذَّر النبي ﷺ من تخصيصها بقيام من بين الليالي، دلَّ ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى، لا يجوز تخصيص شيء منها بشيء من العبادة، إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص، ولما كانت ليلة القدر وليالي رمضان يشرع قيامها والاجتهاد فيها، نبَّه النبي ﷺ على ذلك، وحثَّ الأمَّة على قيامها، وفَعَلَ ذلك بنفسه، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، ومَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه». فلو كانت ليلة النصف من شعبان، أوليلة أول جمعة من رجب، أو ليلة الإسراء والمعراج يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة، لأرشد النبي ﷺ الأمَّة إليه، أو فعله بنفسه، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمَّة، ولم يكتموه عنهم، وهم خير الناس، وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم، وقد عرفت آنفاً من كلام العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب، ولا في ليلة النصف من شعبان، فعلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام، وهكذا تخصيصها بشيء من العبادة، بدعة منكرة، وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب، التي يعتقد بعض الناس أنها ليلة

الإسراء والمعراج، لا يجوز تخصيصها بشيء من العبادة، كما لا يجوز الاحتفال بها، للأدلة السابقة، هذا لو عُلمَتْ، فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تُعْرَف، وقول مَن قال: أنها ليلة سبع وعشرين من رجب، قول باطل لا أساس له في الأحاديث الصحيحة، ولقد أحسن مَن قال:

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسُّك بالسُّنَّة والثبات عليها، والحَذَر ممَّا خالفها، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الرسالة الرابعة
تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى مَن يطَّلع عليه من المسلمين، حفظهم الله بالإسلام، وأعاذنا وإياهم من شر مفتريات الجَهَلَة الطَّغام، أمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطَّلعت على كلمة منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان: (هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف) قال فيها:

«كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك تهيَّأت للنوم، فرأيت صاحب الطلعة البهيَّة رسول الله ﷺ الذي أتى بالآيات القرآنية، والأحكام الشريفة؛ رحمة بالعالمين سيدنا محمد ﷺ، فقال: يا شيخ أحمد، قلت: لبيك يا رسول الله، يا أكرم خَلْق الله، فقال لي: أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أُقابل ربي، ولا الملائكة؛ لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام، ثم ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي، ثم قال: فهذه الوصية رحمة بهم من العزيز الجبَّار، ثم ذكر بعض أشراط الساعة، إلى أن قال:

فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية؛ لأنها منقولة بقلم القدر من اللوح المحفوظ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد، إلى بلد، ومن محل إلى محل، بني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن كتبها وكان فقيراً أغناه الله، أو كان مديوناً قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن لم يكتبها من عباد الله اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة. وقال: والله العظيم ثلاثاً هذه حقيقة، وإن كنت كاذباً أخرج من الدنيا على غير الإسلام، ومن يصدِّق بها ينجو من عذاب النار، ومن يكذب بها كفر».
هذه خلاصة ما في الوصية المكذوبة على رسول الله ﷺ، ولقد سمعنا هذه الوصية المكذوبة مرَّات كثيرة منذ سنوات متعددة، تُنشر بين الناس فيما بين وقت وآخر، وتروج بين الكثير من العامة، وفي ألفاظها اختلاف، وكاذبها يقول: إنه رأى النبي ﷺ في النوم فحمّله هذه الوصية، وفي هذه النشرة الأخيرة التي ذكرنا لك أيها القارئ زعم المفتري فيها أنه رأى النبي ﷺ عندما تهيَّأ للنوم، فالمعنى: أنه رآه يقظة!

زعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة، هي من أوضح الكذب، وأبين الباطل، سأنبهك عليها قريباً في هذه الكلمة إن شاء الله، ولقد نبَّهت عليها في السنوات الماضية، وبيَّنت للناس أنها من أوضح الكذب، وأبين الباطل، فلما اطَّلعت على هذه النشرة الأخيرة ترددت في الكتابة عنها، لظهور بطلانها، وعظم جراءة مفتريها على الكذب، وما كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة، أو

فطرة سليمة، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من الناس، وتداولوها بينهم وصدَّقها بعضهم، فمن أجل ذلك رأيت أنه يتعيَّن على امثالي الكتابة عنها، لبيان بطلانها، وأنها مفتراة على رسول الله ﷺ حتى لا يغتر بها أحد، ومن تأملها من ذوي العلم والإيمان، أو ذوي الفطرة السليمة والعقل الصحيح، عرف أنها كذب وافتراء من وجوه كثيرة.

ولقد سألت بعض أقارب الشيخ أحمد المنسوبة إليه في هذه الفرية، عن هذه الوصية، فأجابني: بأنها مكذوبة على الشيخ أحمد، وأنه لم يقلها أصلاً، والشيخ أحمد المذكور قد مات من مدة، ولو فرضنا أن الشيخ أحمد المذكور، أو من هو أكبر منه، زعم أنه رأى النبي ﷺ في النوم أو اليقظة، وأوصاه بهذه الوصية، لعلمنا يقيناً أنه كاذب، أو أن الذي قال له ذلك شيطان، ليس هو الرسول ﷺ؛ لوجوه كثيرة، منها:

١ ـ أن الرسول ﷺ لا يُرى في اليقظة بعد وفاته ﷺ، ومَن زَعَمَ من جَهَلَة الصوفية أنه يرى النبي ﷺ في اليقظة، أو أنه يحضر المولد أو ما شَابَه ذلك، فقد غلط أقبح الغلط، ولُبِّسَ عليه غاية التلبيس، ووقع في خطأ عظيم وخالَف الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل العلم؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذباً بيِّناً، أو غالط ملبس عليه، لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح، ودرج عليه اصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقال النبي

ﷺ: «أنا أول مَن تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

٢ ـ الوجه الثاني: أن الرسول ﷺ لا يقول خلاف الحق، لا في حياته ولا في وفاته، وهذه الوصية تُخالِف شريعته مخالفة ظاهرة، من وجوه كثيرة ـ كما يأتي ـ وهو ﷺ قد يُرى في النوم، ومن رآه في المنام على صورته الشريفة فقد رآه؛ لأن الشيطان لا يتمثَّل في صورته، كما جاء بذلك الحديث الصحيح الشريف، ولكن الشأن كل الشأن في إيمان الرائي وصدقه وعدالته وضبطه وديانته وأمانته، وهل رأى النبي ﷺ في صورته أو في غيرها، ولو جاء عن النبي ﷺ حديث قاله في حياته، من غير طريق الثقات العدول الضابطين لم يُعتمد عليه، ولم يُحتجّ به، أو جاء من طريق الثقاة الضابطين، ولكنه يخالِف رواية من هو أحفظ منهم، وأوثق مخالفة لا يمكن معها الجمع بين الروايتين، لكان أحدهما: منسوخاً لا يُعمل به، والثاني: ناسخ يُعمل به، حيث أمكن ذلك بشروطه، وإذا لم يمكن الجمع ولا النسخ وَجَبَ أن تطرح رواية مَن هو أقل حفظاً، وأدنى عدالة، والحكم عليها بأنها شاذَّة لا يعمل بها.

فكيف بوصية لا يُعْرَف صاحبها الذي نقلها عن رسول الله ﷺ، ولا تُعْرَف عدالته وأمانته، فهي والحالة هذه حقيقة بأن تطرح ولا يلتفت إليها، وإن لم يكن فيها شيء يخالِف الشرع، فكيف إذا كانت الوصية مشتملة على أمور كثيرة تدل على بطلانها، وأنها مكذوبة على رسول

الله ﷺ ومتضمنة لتشريع دين لم يأذن به الله! .

وقد قال النبي ﷺ: «مَن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوَّأ مقعده من النار». وقد قال مفتري هذه الوصية على رسول الله ﷺ ما لم يقل، وكذب عليه كذباً صريحاً خطيراً، فما أحراه بهذا الوعيد العظيم وما أحقّه به إن لم يبادر بالتوبة، وينشر للناس كذب هذه الوصية على رسول الله ﷺ؛ لأن من نشر باطلاً بين الناس ونسبه إلى الدين لم تصح توبته منه إلا بإعلانها وإظهارها، حتى يعلم الناس رجوعه عن كذبه، وتكذيبه لنفسه؛ لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾، فأوضح سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: أن مَن كتم شيئاً من الحق لم تصح توبته من ذلك إلا بعد الإصلاح والتبيين، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة ببعث رسوله محمد ﷺ، وما أوحى الله إليه من الشرع الكامل، ولم يقبضه إليه إلا بعد الإكمال والتبيين، كما قال عز وجل: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ الآية.

ومفتري هذه الوصية قد جاء في القرن الرابع عشر، يريد أن يلبس على الناس ديناً جديداً، يترتب عليه دخول الجنة لمن أخذ بتشريعه، وحرمان الجنة ودخول النار لمن لم يأخذ بتشريعه، ويريد أن يجعل هذه الوصية التي افتراها أعظم من القرآن وأفضل، حيث افترى فيها: أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد، أو من محل إلى محل بُنِي له قصر في

الجنة، ومَن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، وهذا من أقبح الكذب ومن أوضح الدلائل على كذب هذه الوصية، وقلة حياء مفتريها، وعظم جرأته على الكذب؛ لأن مَن كتب القرآن الكريم وأرسله من بلد إلى بلد، أو من محل إلى محل، لم يحصل له هذا الفضل إذا لم يعمل بالقرآن الكريم، فكيف يحصل لكاتب هذه الفرية وناقلها من بلد إلى بلد، ومن لم يكتب القرآن ولم يرسله من بلد إلى بلد، لم يُحْرَمْ شفاعة النبي ﷺ إذا كان مؤمناً به، تابعاً لشريعته، وهذه الفرية الواحدة في هذه الوصية، تكفي وحدها للدلالة على بطلانها وكذب ناشرها، ووقاحته وغباوته وبُعده عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى، وفي هذه الوصية ـ سوى ما ذكر ـ أمور أخرى كلها تدل على بطلانها وكذبها، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال، على أنه صادق لم يكن صادقاً، ولم تكن صحيحة، بل هي والله ثم والله من أعظم وأقبح الباطل، ونحن نُشْهِد الله سبحانه، ومن حضرنا من الملائكة، ومن اطَّلع على هذه الكتابة من المسلمين ـ شهادة نلقى بها ربنا عز وجل ـ أن هذه الوصية كذب وافتراء على رسول الله ﷺ أخزى الله من كذبها وعامله بما يستحق، ويدل على كذبها وبطلانها، سوى ما تقدم أمور كثيرة:

الأول منها: قوله فيها: (لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام)؛ لأن هذا من علم الغيب، والرسول ﷺ قد انقطع عنه الوحي بعد وفاته، وهو في حياته لا يعلم الغيب فكيف

بعد وفاته؛ لقول الله سبحانه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يُذاد رجال عن حوضي يوم القيامة، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾».

الثاني من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية وأنها كذب: قوله فيها: (من كتبها وكان فقيراً أغناه الله، أو مديوناً قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية) إلى آخره، وهذا من أعظم الكذب، وأوضح الدلائل على كذب مفتريها، وقلة حيائه من الله ومن عباده؛ لأن هذه الأمور الثلاثة لا تحصل بمجرد كتب القرآن الكريم، فكيف تحصل لمَن كتب هذه الوصية الباطلة!، وإنما يريد هذا الخبيث التلبيس على الناس، وتعليقهم بهذه الوصية حتى يكتبوها ويتعلّقوا بهذا الفضل المزعوم، ويتركوا الأسباب التي شرعها الله لعباده، وجعلها موصلة إلى الغنى وقضاء الدين، ومغفرة الذنوب، فنعوذ بالله من أسباب الخذلان وطاعة الهوى والشيطان.

الأمر الثالث من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية: قوله فيها: (ومن لم يكتبها من عباد الله اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة). وهذا أيضاً من أقبح الكذب، ومن أبين الأدلة على بطلان هذه الوصية، وكذب مفتريها، كيف يجوز في عقل عاقل، أن يكتب هذه الوصية التي جاء بها

رجل مجهول في القرن الرابع عشر، يفتريها على رسول الله ﷺ ويزعم أن من لم يكتبها يسود وجهه في الدنيا والآخرة، ومن كتبها كان غنيًا بعد الفقر، وسليماً من الدين بعد تراكمه عليه، ومغفوراً له ما جناه من الذنوب!!

سبحانك هذا بهتان عظيم، وإن الأدلة والواقع يشهدان بكذب هذا المفتري، وعظم جرأته على الله، وقلّة حيائه من الله ومن الناس، فهؤلاء أُمم كثيرة لم يكتبوها، فلم تَسْوَدَّ وجوههم، وهٰهنا جمع غفير لا يحصيهم إلا الله قد كتبوها مرَّات كثيرة، فلم يقض دينهم، ولم يزل فقرهم، فنعوذ بالله من زيغ القلوب، ورين الذنوب، وهذه صفات وجزاءات لم يأت بها الشرع الشريف لمَن كتب أفضل كتاب وأعظمه وهو القرآن الكريم، فكيف تحصل لمن كتب وصية مكذوبة مشتملة على أنواع من الباطل، وجمل كثيرة من أنواع الكفر، سبحان الله ما أحلمه على مَن اجترأ عليه بالكذب.

الأمر الرابع من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب: قوله فيها: (ومَن يُصَدِّق بها ينجو من عذاب النار، ومَن كذب به كفر). وهذا أيضاً من أعظم الجرأة على الكذب، ومن أقبح الباطل، يدعو هذا المفتري جميع الناس إلى أن يصدِّقوا بفريته، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار، وأن مَن كذب بها يكفر، لقد أعظم والله هذا الكذاب على الله الفرية، وقال ـ والله ـ غير الحق. إنَّ مَنْ صَدَّق بها هو الذي يستحق أن يكون كافراً لا من كذب بها؛ لأنها فرية وباطل وكذب لا أساس له من الصحة، ونحن نُشْهِد الله على أنها

كذب، وأن مفتريها كذاب، يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، ويدخل في دينهم ما ليس منه، والله قد أكمل الدين وأتمَّه لهذه الأمة من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرناً. فانتبهوا أيها القرَّاء والإخوان، وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات، وأن يكون لها رواج فيما بينكم، فإن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه، فاطلبوا الحق بدليله، واسألوا أهل العلم عمَّا أشكل عليكم، ولا تغترُّوا بحلف الكذابين، فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم آدم وحواء، على أنه لهما من الناصحين، وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذابين، كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾. فاحذروه واحذروا أتباعه من المفترين، فكم له ولهم من الأيمان الكاذبة، والعهود الغادرة، والأقوال المزخرفة للإغواء والتضليل!

عَصَمَني الله وإياكم وسائر المسلمين من شرِّ الشياطين، وفِتَن المُضِلِّين، وزَيْغ الزائغين، وتلبيس أعداء الله المبْطلين، الذين يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم، ويلبسوا على الناس دينهم، والله مُتِم نورِهِ، وناصِر دينه، ولو كرِه أعداء الله من الشياطين وأتباعهم من الكفَّار والملحدين.

وأمَّا ما ذَكَرَه هذا المفتري من ظهور المنكرات، فهو أمر واقع، والقرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة قد حذَّرا منها غاية التحذير، وفيهما الهداية والكفاية، ونسأل الله أن يُصْلِح أحوال المسلمين، وأن يمن عليهم باتِّباع الحق والاستقامة عليه والتوبة إلى الله سبحانه من سائر الذنوب، فإنه التوَّاب الرحيم القادر على كل شيء.

وأما ما ذكر عن شروط الساعة، فقد أوضحت الأحاديث النبوية ما يكون من أشراط الساعة، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك، فمَن أراد أن يَعْلَم ذلك وجده في محله من كتب السنة، ومؤلفات أهل العلم والإيمان، وليس بالناس حاجة إلى بيان مثل هذا المفتري وتلبيسه، ومَزْجِهِ الحقَّ بالباطل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على عبده ورسوله الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين[١].

* * *

---

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الأول (١٧٨-٢٠٠).

حكم السحر والكهانة وما يتعلّق بها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وبعد :

فنظراً لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممَّن يدَّعون الطب ويعالِجون عن طريق السحر أو الكهانة، وانتشارهم في بعض البلاد واستغلالهم للسُذَّج من الناس ممَّن يغلب عليهم الجهل، رأيت من باب النصيحة لله ولعباده أن أُبيِّن ما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لِمَا فيه من التعلُّق بغير الله تعالى ومخالَفَة أَمْره وأَمْر رسوله ﷺ.

فأقول مستعيناً بالله تعالى : يجوز التداوي اتفاقاً، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك ليشخِّص له مرضه ويعالِجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعاً حسب ما يعرفه في علم الطب ؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكُّل على الله، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء عرف ذلك مَنْ عرفه وجهله مَنْ جهله، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرَّمه عليهم.

فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكَهَنة الذين يدَّعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدِّقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال، إذا ادَّعوا علم

الغيب، وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقْبَل له صلاة أربعين يوماً**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتى كاهِناً فصدَّقه بما يقول فقد كفَر بما أُنزِل على محمد ﷺ**» رواه أبوداود وخرجه أهل السُنن الأربع وصحَّحه الحاكم عن النبي ﷺ بلفظ: «**مَن أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزِل على محمد ﷺ**». وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا مَن تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهِناً فصدَّقه بما يقول فقد كفَر بما أُنزِل على محمد ﷺ**» رواه البزار بإسناد جيد.

ففي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان العرَّافين، والكَهَنَة والسَّحَرَة وأمثالهم، وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك، فالواجب على وُلاة الأمور وأهل الحِسْبَة وغيرهم ممَّن لهم قُدْرَة وسلطان إنكار إتيان الكُهَّان والعرَّافين ونحوهم ومَنع مَن يتعاطىٰ شيئاً من ذلك في الأسواق وغيرها، والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على مَن يجيء إليهم، ولا يجوز أن يغترَّ بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة مَن يأتي إليهم من الناس، فإنهم جُهَّال لا يجوز التأسِّي بهم؛ لأن الرسول ﷺ قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم؛ لِمَا في ذلك من المنكر العظيم والخطر الجسيم والعواقب الوخيمة، ولأنهم كَذَبَة فَجَرَة، كما أن في هذه الأحاديث دليلاً على كُفر الكاهن والساحِر؛ لأنهما يدَّعيان عِلم الغيب وذلك كُفْر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجِن وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله

وشرك به سبحانه والمصدِّق لهم في دعواهم على الغيب يكون مثلهم، وكل مَن تلقَّى هذه الأمور عمَّن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجاً كنمنمتهم بالطلاسم، أو صب الرصاص ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكَهَانَة والتلبيس على الناس، ومَن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكُفرِهم، كما لا يجوز أيضاً لأحد من المسلمين أن يذهب إليهم ليسألهم عمَّن سيتزوج ابنه أو قريبه أو عما يكون بين الزوجين وأسرتيهما من المحبَّة والوفاء أو العداوة والفراق ونحو ذلك؛ لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. والسحر من المحرَّمات الكُفريَّة كما قال الله عز وجل في شأن المَلَكَين في سورة البقرة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، فدلَّت هذه الآيات الكريمة على أن السحر كُفر، وأن السَّحرة يُفَرِّقون بين المرء وزوجه، كما دلَّت على أن السحر ليس بمؤثِّر لذاته نفعاً ولا ضرًّا، وإنما يؤثِّر بإذن الله الكوني القدري؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خَلَقَ الخير والشر. ولقد عظم الضرر واشتدَّ الخَطْب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين ولبسوا بها على ضُعَفَاء العقول، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل، كما دلَّت الآية الكريمة على أن الذين يتعلَّمون السِّحر إنما

يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأنه ليس لهم عند الله مِن خَلاَق أي: من حظ ونصيب. وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان. ولهذا ذمَّهم الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾، والشراء هنا: بمعنى البيع.

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفِّق حُكَّام المسلمين للحَذَر منهم وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العِبَاد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة، إنه جواد كريم. وقد شرَع الله سبحانه لعباده ما يتَّقون به شر السحر قبل وقوعه، وأوضح لهم سبحانه ما يعالج به بعد وقوعه رحمة منه لهم وإحساناً منه إليهم وإتماماً لنعمته عليهم.

وفيما يلي بيان للأشياء التي يتَّقى بها خطر السحر قبل وقوعه، والأشياء التي يعالج بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعاً.

أمَّا ما يُتَّقى به خطر السحر قبل وقوعه، فأهم ذلك وأنفعه هو التحصُّن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعوذات المأثورة، ومن ذلك:

* قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام، ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم وهي قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾.

* ومن ذلك قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ خلف كل صلاة مكتوبة، وقراءة السور الثلاث ثلاث مرّات في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب.

* ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل وهما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ إلى آخر السورة، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»، وصحَّ عنه أيضاً ﷺ أنه قال: «مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»، والمعنى والله أعلم: كفتاه من كل سوء.

* ومن ذلك: الإكثار من التعوُّذ بـ«كلمات الله التامات من شر ما خلَق» في الليل والنهار وعند نزول أي منزلٍ في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر؛ لقول النبي ﷺ: «مَن نَزَلَ منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضرُّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك».

* ومن ذلك: أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» لصحة الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء.

وهذه الأذكار والتعوُّذات من أعظم الأسباب في اتِّقاء شر السحر وغيره من الشرور لمَن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لِمَا دلَّت عليه، وهي أيضاً من أعظم السلاح لإزالة السحر بعد وقوعه مع الإكثار من الضراعة إلى الله وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرر ويزيل البأس.

* ومن الأدعية الثابتة عن رسول الله ﷺ في علاج من السحر وغيره ـ وكان ﷺ يرقي بها أصحابه: «**اللهم رب الناس أذهب البأس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**» يقولها ثلاثاً.

* ومن ذلك: الرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك**» وليكرر ذلك ثلاث مرَّات.

* ومن علاج السحر بعد وقوعه أيضاً وهو علاج نافع للرَّجُل إذا حُبِسَ من جماع أهله أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقَّها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل، ويقرأ فيها آية الكرسي و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

وآيات السحر التي في سورة الأعراف، وهي قوله سبحانه: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝١١٩﴾.

والآيات التي في سورة يونس، وهي قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

والآيات التي في سورة طه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾.

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب منه ثلاث مرات، ويغتسل بالباقي، وبذلك يزول الداء إن شاء الله، وإن دَعَت الحاجة لاستعماله مرّتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء.

* ومن علاج السحر أيضاً وهو من أنفع علاجه: بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عُرِف واستُخْرِج وأتْلِف بَطُلَ السِّحر.

هذا ما تيسَّر بيانه من الأمور التي يُتَّقى بها السحر ويُعالَج بها والله وليُّ التوفيق.

وأما علاجه بعمل السحرة الذي هو التقرُّب إلى الجن بالذبح أو غيره من القُرُبات فهذا لا يجوز؛ لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر، فالواجب الحذر من ذلك، كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون؛ لأنهم لا يؤمنون ولأنهم كذبة فجرة يدَّعون علم الغيب ويلبسون على الناس، وقد حذَّر الرسول ﷺ

من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم كما سبق بيان ذلك في أول هذه الرسالة، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه سُئِل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه الإمام أحمد وأبوداود بإسناد جيد. والنشرة هي: حل السحر عن المسحور، ومراده ﷺ بكلامه هذا النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية وهي سؤال الساحر ليحل السحر، أو حله بسحر مثله من ساحر آخر.

أما حلّه بالرقية والمتعوذات الشرعية والأدوية المباحة فلا بأس بذلك كما تقدَّم. وقد نص على ذلك العلاَّمة ابن القيم والشيخ عبدالرحمن بن حسن في «فتح المجيد» رحمة الله عليهما، ونصَّ على ذلك أيضاً غيرهما من أهل العلم.

والله المسئول أن يوفِّق المسلمين للعافية من كل سوء، وأن يحفظ عليهم دينهم ويرزقهم الفقه فيه والعافية من كل ما يخالِف شرعه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه[١].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الثالث (٢٧٤-٢٨١).

التحذير من بناء المساجد على القبور

وسئلت هل يجوز أن يبنى على موضع أهل الكهف مسجد؟ فأجبت قائلاً:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد اطَّلَعت على ما نُشِر في العدد الثالث من مجلة رابطة العلوم الإسلامية في باب (أخبار المسلمين في شهر).

إن رابطة العلوم الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية تنوي إشادة مسجد على الكهف الذي اكتُشِف حديثاً في قرية الرحيب، وهو الكهف الذي يُقال إن أهل الكهف الوارد ذِكْرهم في القرآن الكريم رقدوا فيه. انتهى.

ولواجب النُّصح لله ولعباده رأيت أن أوجِّه كلمة في المجلة نفسها لرابطة العلوم الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية مضمونها نصيحة الرابطة عن تنفيذ ما نوته من إشادة مسجد على الكهف المذكور. وما ذاك إلا لأن إشادة المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وآثارهم مما جاءت الشريعة الإسلامية الكاملة بالمنع منه والتحذير عنه ولَعْن مَن فَعَلَه؛ لكونه من وسائل الشِرك والغُلو في الأنبياء والصالحين، والواقع شاهد بصحة ما جاءت به الشريعة، ودليل على أنها من عند الله عزَّ وجل، وبرهان ساطع وحجة قاطعة على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به عن الله وبلَّغه الأُمَّة.

وكل مَن تأمَّل أحوال العالم الإسلامي وما حصل فيه من الشرك والغُلُو بسبب إشادة المساجد على الأضرحة وتعظيمها وفرشها وتجميلها واتخاذ السَدَنة لها عَلِمَ يقيناً أنها من وسائل الشرك، وأن من محاسن الشريعة الإسلامية المنع منها والتحذير من إشادتها، ومما ورد في ذلك ما رواه الشيخان البخاري ومسلم رحمة الله عليهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة: يحذر ما صنعوا، قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، وفي الصحيحين أيضاً أن أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال ﷺ: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شِرار الخَلْق عند الله»، وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرؤ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتَّخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متَّخِذاً من أُمَّتي خليلاً لاتَّخذت أبابكر خليلاً ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد نصَّ الأئمَّة من علماء المسلمين من جميع المذاهب الأربعة وغيرهم على النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، وحذروا من ذلك؛ عملاً بسُنَّة الرسول ﷺ، ونُصحاً للأُمَّة وتحذيراً لها أن تقع فيما وقع فيه مَن قبلها من غُلاة اليهود

والنصارى وأشباههم من ضُلَّالْ هذه الأُمَّة .

فالواجب على رابطة العلوم الإسلامية في الأردن وعلى غيرها من المسلمين أن تأخذ بالسُّنَّة ، وتسير على نهج الأئمة ، وأن تحذر مما حذر الله منه ورسوله ، وفي ذلك صلاح العباد وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ، وقد تعلَّق بعض الناس في هذا الباب بقوله عز وجل في قصة أهل الكهف : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ ، والجواب عن ذلك أن يُقال : إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن الرؤساء وأهل السيطرة في ذلك الزمان أنهم قالوا هذه المقالة ، وليس ذلك على سبيل الرضا والتقرير لهم وإنما هو على سبيل الذم والعيب والتنفير من صنيعهم ، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ الذي أُنزِلَت عليه هذه الآية وهو أعلم الناس بتأويلها قد نهى أمَّته عن اتخاذ المساجد على القبور ، وحذرهم من ذلك ، ولعن وذم مَن فعله ، ولو كان ذلك جائزاً لما شدَّد رسول الله ﷺ في ذلك التشديد العظيم وبالَغ في ذلك حتى لعن مَن فعله ، وأخبر أنه من شرار الخلق عند الله عز وجل ، وهذا فيه كفاية ومقنع لطالب الحق ، ولو فرضنا أن اتخاذ المساجد على القبور جائز لمَن قبلنا لم يجز لنا التأسي بهم في ذلك ؛ لأن شريعتنا ناسخة للشرائع قبلها ورسولنا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الرسل وشريعته كاملة عامة ، وقد نهانا عن اتخاذ المساجد على القبور ، فلم تجز لنا مخالفته ، ووجب علينا اتباعه والتمسُّك بما جاء به وترك ما خالَف ذلك من الشرائع القديمة ، والعادات المستحسنة عند مَن فعلها ؛ لأنه لا أكمل من شرع الله ولا هدي أحسن من هدي رسول

الله ﷺ.

والله المسئول أن يوفِّقنا والمسلمين جميعاً للثبات على دينه والتمسُّك بشريعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأعمال، والظاهر والباطن، وفي سائر الشئون حتى نلقى الله عز وجل، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومَن اهتدى بهُداه إلى يوم الدين[١].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الأول (٤٣٣-٤٣٦).

دفن الموتى في المساجد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومَن اهتدى بهُداه، أما بعد:

فقد اطَّلعت على صحيفة الخرطوم الصادرة في ١٧/ ٤/ ١٤١٥هـ، فألفيتها قد نُشِر فيها بيان بدفن السيد محمد الحسن الإدريسي بجوار أبيه في مسجدهم بمدينة أم درمان. . . إلخ.

ولما أوجب الله من النُّصح للمسلمين، وبيان إنكار المنكر، رأيت التنبيه على أن الدفن في المساجد أمر لا يجوز، بل هو من وسائل الشرك، ومن أعمال اليهود والنصارى التي ذمهم الله عليها، ولعنهم رسوله ﷺ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي صحيح مسلم، عن جندب بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين في كل مكان ـ حكومات وشعوباً ـ أن يتَّقوا الله، وأن يحذروا ما نهى عنه، وأن يدفنوا موتاهم خارج المساجد، كما كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدفنون الموتى خارج المساجد، وهكذا أتباعهم بإحسان.

وأما وجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مسجده ﷺ فليس به حجة على دفن الموتى في المساجد؛ لأنه ﷺ دفن في بيته - في بيت عائشة رضي الله عنها - ثم دفن صاحباه معه، فلما وسَّع الوليد بن عبدالملك المسجد أدخل الحجرة فيه على رأس المائة الأولى من الهجرة، وقد أنكر عليه ذلك أهل العلم، ولكنه رأى أن ذلك لا يمنع من التوسعة، وأن الأمر واضح لا يشتبه.

وبذلك يتضح لكل مسلم أنه ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما لم يُدْفَنُوا في المسجد، وإدخالهم فيه بسبب التوسعة ليس بحجة على جواز الدفن في المساجد؛ لأنهم ليسوا في المسجد، وإنما هم في بيته عليه الصلاة والسلام، ولأن عمل الوليد لا يصلح حجة لأحد في ذلك، وإنما الحُجَّة في الكتاب والسُّنَّة، وفي إجماع سلف الأُمَّة رضي الله عنهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

وللنُّصح وبراءة الذِّمَّة جرى تحريره في ١٤/ ٥/ ١٤١٥هـ. والله وليُّ التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه وأتباعهم بإحسان[1].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الثامن (٣٢٦-٣٢٧).

بيان كفر وضلال مَن زَعَمَ أنه يجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطَّلعت على المقال المنشور بجريدة الشرق الأوسط بعددها رقم (٥٨٢٤) وتاريخ ٥/٦/١٤١٥هـ كتبه مَن سمَّىٰ نفسه: . . . تحت عنوان: (الفهم الخاطئ).

وملخص المقال: إنكاره لِمَا هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وبالنص والإجماع، وهو عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس، وادعاؤه أن مَن لم يتَّبع محمداً ﷺ ولم يطعه، بل بقي يهودياً أو نصرانياً فهو على دينٍ حق. ثم تطاول على رب العالمين سبحانه في حكمته في تعذيب الكُفَّار والعُصاة وجعل ذلك من العَبَث.

وقد قام بتحريف النصوص الشرعية ووضعها في غير مواضعها، وفسَّرها بما يمليه هواه، وأَعْرَض عن الأدلة الشرعية والنصوص الصريحة الدالَّة على عموم رسالة محمد ﷺ، وعلى كُفر مَن سمع به ولم يتبعه، وأن الله لا يقبل غير الإسلام ديناً، إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التي أعرض عنها؛ لينخدع بكلامه الجُهَّال.

وهذا الذي فَعَلَه كُفر صريح، ورِدَّة عن الإسلام، وتكذيب لله سبحانه ولرسوله ﷺ، كما يَعْلَم ذلك مَن قَـرَأَ المقال مِن أهل العلم والإيمان.

والواجب على ولي الأمر إحالته للمحكمة لاستتابته والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر.

والله سبحانه وتعالىٰ قد بيّن عموم رسالة محمد ﷺ، ووجوب اتّباعه على جميع الثقَلَين، وذلك لا يجهله مَن له أدنىٰ مسكة من عِلْم من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾.

وروى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يُعْطَهن أحد قبلي: نُصِرت بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجل من أُمَّتي أدْرَكَته الصلاة فليُصَل، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة،

وكان النبي يُبْعَث إلى قومه خاصة وبُعِثْت إلى الناس عامَّة»، وهذا بيان صريح لعموم وشمول رسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع البشر، وأنها نَسَخَت جميع الشرائع المتقدِّمة، وأن مَن لم يتَّبع محمداً ﷺ ولم يطعه فهو كافر عاصٍ مستحق لعقابه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله سبحانه قد قَرَنَ طاعة الرسول ﷺ بطاعته، وبيَّن أن مَن اعتقد غير الإسلام فهو خاسر لا يُقْبَل منه صرف ولا عدل، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلت به؛ إلا كان من أهل النار».

وقد بيَّن رسول الله ﷺ بفعله وقوله بطلان ديانة مَن لم يدخل في دين الإسلام، فقد حارَب اليهود والنصارى، كما حارَب غيرهم من

الكفار، وأخذ ممن أعطاه منهم الجزية حتى لا يمنعوا وصول الدعوة إلى بقيتهم، وحتى يدخل مَن شاء منهم في الإسلام دون خوف من قومه أن يصدُّوه أو يمنعوه أو يقتلوه.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: «يا معشر يهود، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد، أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد»، ثم قالها الثالثة. . .) الحديث.

والمقصود: أنه ﷺ ذهب إلى أهل الديانة من اليهود في بيت مدراسهم فدعاهم إلى الإسلام، وقال لهم: «أسلموا تسلموا»، وكرَّرها عليهم، وكذلك بَعَثَ بكتابه إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ويخبره أنه إن امتنع فإن عليه إثم الذين امتنعوا من الإسلام بسبب امتناعه منه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن هرقل دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم: سلام على مَن اتَّبَعَ الهُدىٰ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرَّتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن

دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾، ثم لمَّا تولوا ورفضوا الدخول في الإسلام قاتلهم ﷺ هو وأصحابه رضي الله عنهم وفرض عليهم الجزية.

ولتأكيد ضلالهم وأنهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد ﷺ، أمَرَ الله المسلم أن يسأل الله في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة أن يهديه الصراط المستقيم الصحيح المتقبل، وهو: الإسلام، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم، وهم: اليهود وأشباههم الذين يعلمون أنهم على باطل ويصِرّون عليه، ويجنبه طريق الضالين الذين يتعبَّدون بغير علم ويزعمون أنهم على طريق هدى وهم على طريق ضلالة، وهم: النصارى، ومَن شابههم من الأمم الأخرى التي تتعبَّد على ضلال وجهل، وكل ذلك؛ ليعلم المسلم علم اليقين أن كل ديانة غير الإسلام فهي باطلة، وأن كل مَن يتعبَّد لله على غير الإسلام فهو ضال، ومَن لم يعتقد ذلك فليس من المسلمين. والأدلة في هذا الباب كثيرة من الكتاب والسُّنة.

فالواجب على صاحب المقال أن يبادر بالتوبة النصوح، وأن يكتب مقالا يعلِن فيه توبته، ومَن تاب إلى الله توبة صادقة تاب الله عليه؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾، ولقول النبي ﷺ: «الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها»، وقوله ﷺ: «التائب من الذنب كمَن لا ذنب له». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يمن علينا وعلى الكاتب وعلى جميع المسلمين بالتوبة النصوح، وأن يعيذنا جميعاً من مضلات الفِتَن وطاعة الهوى والشيطان، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[١].

* * *

---

(١) «مجموع الفتاوى»، المجلد الثامن (١٩٦-٢٠١).

أسئلة على العقيدة وأجوبتها

السؤال الأول: انتشرت في بعض المجتمعات الإسلامية مخالفات متعددة، منها ما يقع عند بعض القبور، ومنها ما يتَّصل بالحلف والأيمان والنُّذور، وقد تختلف أحكام هذه المخالفات بين ما يكون منها من قبيل الشرك المخرج من الملة، وما يكون دون ذلك، فحبَّذا لو تفضَّل سماحتكم ببسط القول وبيان أحكام تلك المسائل لهم، ونصيحة أخرى لعامة المسلمين؛ ترهيباً من التساهل بأمر تلك المخالفات والتهاون بشأنها.

الجواب: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهُداه.

أما بعد: فإن كثيراً من الناس تلتبس عليهم الأمور المشروعة بالأمور الشركية والمبتدعة حول القبور، كما أن كثيراً منهم قد يقع في الشرك الأكبر بسبب الجهل والتقليد الأعمى، فالواجب على أهل العلم في كل مكان أن يوضِّحوا للناس دينهم، وأن يبيِّنوا لهم حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، كما يجب على أهل العلم أن يوضِّحوا للناس وسائل الشرك وأنواع البدع الواقعة بينهم حتى يحذروها؛ لقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟

وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾، وقال النبي ﷺ: «مَن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم في صحيحه، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم أيضاً، وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن يرد الله به خيراً يُفقِّهه في الدين». والآيات والأحاديث في الدعوة إلى نشر العلم وترغيب الناس في ذلك والتحذير من الإعراض وكتمان العلم كثيرة.

أما ما يقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع في بلدان كثيرة فهو أمر معلوم وجدير بالعناية والبيان والتحذير منه، فمِن ذلك دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، وطلب شفاء المرضى، والنصر على الأعداء ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾، والمعنى: أمَرَ وأوصى، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والعبادة التي خُلِقَ الثَّقَلين لأجلها وأُمِروا بها هي: توحيده سبحانه، وتخصيصه بجميع الطاعات التي أَمَر بها من صلاة وصوم وزكاة وحج وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾، والنسك هو: العبادة، ومنها: الذبح، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾، وقال النبي ﷺ: «لعن الله مَن ذبح لغير الله» أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال الله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾، وقال عز وجل في سورة فاطر: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن الصلاة لغيره والذبح لغيره ودعاء الأموات والأصنام والأشجار والأحجار ـ كل ذلك من الشرك بالله والكُفر به، وأن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء أو جِن أو أصنام أو غيرهم لا يملكون لداعيهم نفعاً ولا ضرًّا، وأن دعوتهم من دونه سبحانه شرك وكفر، كما أوضح سبحانه أنهم لا يسمعون دعاء داعيهم، ولو سمعوا لم يستجيبوا له.

فالواجب على جميع المكلَّفين من الجن والإنس الحذر من ذلك والتحذير منه وبيان بطلانه، وأنه يخالف ما جاءت به الرُّسل عليهم الصلاة والسلام من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقد مكث ﷺ في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى الله سبحانه، ويحذِّر الناس من الشرك به، ويوضِّح لهم معنى لا إلـٰه إلا الله، فاستجاب له الأقلُّون، واستكبر عن طاعته واتِّباعه الأكثرون، ثم هاجر إلى المدينة ـ عليه الصلاة والسلام ـ فنشر الدعوة إلى الله سبحانه هناك بين المهاجرين والأنصار، وجاهد في سبيل الله، وكتب إلى الملوك والرؤساء، وأوضح لهم دعوته وما جاء به من الهدى، وصبر وصابر في ذلك، هو وأصحابه رضي الله عنهم، حتى ظهر دين الله ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر التوحيد وزال الشرك من مكة والمدينة ومن سائر الجزيرة على يده ﷺ، وعلى يد أصحابه من بعده، ثم قام أصحابه بالدعوة إلى الله سبحانه والجهاد في سبيله في المشارق والمغارب، حتى نصرهم الله على أعدائه، ومكَّن لهم في الأرض، وظهر دين الله على سائر الأديان، كما وعد بذلك سبحانه في كتابه العظيم، حيث قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

ومن البدع ووسائل الشرك: ما يفعل عند القبور من الصلاة عندها والقراءة عندها، وبناء المساجد والقِباب عليها، وهذا كله بدعة ومنكر، ومن وسائل الشرك الأكبر؛ ولهذا صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي «صحيح مسلم» عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتخذو قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، فأوضح ﷺ في هذين الحديثين وما جاء في معناهما: أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فحذَّر أمَّته من التشبه بهم باتخاذها مساجد، والصلاة عندها، والعكوف عندها، والقراءة عندها؛ لأن هذا كله من وسائل الشرك، ومن ذلك البناء عليها، واتخاذ القِباب، والستر عليها، فكل ذلك من وسائل الشرك والغلوّ في أهلها، كما قد وقع ذلك من اليهود والنصارى، ومن جُهَّال هذه الأمة حتى عبدوا أصحاب القبور وذبحوا لهم، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وطلبوا منهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء، كما يعلم ذلك من عرف ما يُفْعَل عند قبر الحسين، والبدوي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، وابن عربي وغيرهم ـ من أنواع الشرك الأكبر، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تجصيص القبور، والقعود عليها، والبناء عليها، والكتابة عليها؛ وما ذاك إلا لأن تجصيصها والبناء عليها من وسائل الشرك الأكبر بأهلها.

فالواجب على جميع المسلمين ـ حكومات وشعوباً ـ الحذر من هذا الشرك، ومن هذه البدع، وسؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسير على منهج سلف الأمة عما أشكل عليهم من أمور دينهم؛ حتى يعبدوا الله على بصيرة؛ عملاً بقول الله عز وجل: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾، وقول النبي ﷺ: «مَن سَلَكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة»، وقوله ﷺ: «مَن يُرِد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدِّين».

ومعلوم أن العباد لم يُخلَقوا عَبَثاً، وإنما خُلِقُوا لحِكْمَة عظيمة وغاية شريفة، وهي عبادة الله وحده دون كل ما سِوَاه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، ولا سبيل إلى معرفة هذه العبادة إلا بتدبر الكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة، ومعرفة ما أمر الله به ورسوله من أنواع العبادة وسؤال أهل العلم عما أشكل في ذلك، وبذلك تعرف عبادة الله سبحانه وتعالى التي خلق العباد من أجلها وتؤدَّى على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو السبيل الوحيد إلى مرضاة الله سبحانه والفوز بكرامته، والنجاة من غضبه وعقابه، وفَّق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه، ومنحهم الفقه في دينه، وولَّى عليهم خيارهم، وأصلح قادتهم، ووفَّق علماء المسلمين لأداء ما يجب عليهم من الدعوة والتعليم والنُّصح والتوجيه، إنه جواد كريم.

ومن أنواع الشرك: الحلف بغير الله؛ كالحلف بالأنبياء، وبرأس فلان، وحياة فلان، والحلف بالأمانة والشرف، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن كان حالِفاً فليحلف بالله أو ليصمت» متفق على

صحته، وقوله ﷺ: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك» رواه الإمام أحمد، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح، وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أخرجه الإمام أبوداود والترمذي بإسناد صحيح، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن حلف بالأمانة فليس منَّا»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يفضي إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه، مثل تعظيم الله، أو أنه ينفع ويضر دون الله، أو أنه يصلح لأن يدعى أو يستغاث به، ومن هذا الباب قول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله وفلان، وهذا كله من الشرك الأصغر؛ لقول النبي ﷺ: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»، وبهذا يعلم أنه لا حرج بأن يقول: لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم فلان. . إذا كان له تسبب في ذلك.

وثبت عنه ﷺ أن رجلاً قال له: ما شاء الله وشئت، فقال له ﷺ: «أجعلتني لله نِدًّا؟! قل: ما شاء الله وحده»، فدلَّ هذا الحديث على أنه إذا قال: ما شاء الله وحده فهذا هو الأكمل، وإن قال: ما شاء الله ثم شاء فلان فلا حرج، جمعاً بين الأحاديث والأدلة كلها، والله وليُّ التوفيق.

السؤال الثاني: يخلط بعض الناس بين التوسُّل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وطاعته والتوسل بذاته وجاهه، كما يقع الخلط بين التوسُّل

بدعائه عليه الصلاة والسلام في حياته وسؤاله الدعاء بعد مماته، وقد ترتب على هذا الخلط التباس المشروع من ذلك بالممنوع منه، فهل من تفصيل يزيل اللبس في هذا الباب، ويُرَدُّ به على أصحاب الأهواء الذين يلبسون على المسلمن في هذه المسائل؟

الجواب: لا شك أن كثيراً من الناس لا يفرقون بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع بسبب الجهل وقِلَّة مَن يُنَبِّهُهُم ويرشدهم إلى الحق، ومعلوم أن بينهما فرقاً عظيماً، فالتوسُّل المشروع هو الذي بعث الله به الرُّسل وأنزل به الكُتُب وخَلَقَ من أجله الثَّقَلين، وهو عبادته سبحانه ومحبَّته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومحبَّة جميع الرُّسل والمؤمنين، والإيمان به وبكل ما أخبر الله به ورسوله من البعث والنشور والجنة والنار وسائر ما أخبر الله به ورسوله.

فكذا كله من الوسيلة الشرعية لدخول الجنة والنجاة من النار، والسعادة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك دعاؤه سبحانه، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبَّته، والإيمان به وبجميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده، وجعلها وسيلة إلى مرضاته، والفوز بجنَّته وكرامته، والفوز أيضاً بتفريج الكروب وتيسير الأمور في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الآية، وهو العلم والهدى والفرقان، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن التوسُّل المشروع التوسُّل إلى الله سبحانه بمحبَّة نبيِّه ﷺ والإيمان به واتِّباع شريعته؛ لأن هذه الأمور من أعظم الأعمال الصالحات، ومن أفضل القربات.

أما التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته أو بحقه أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم فمِن البدع التي لا أصل لها، بل من وسائل الشرك؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أعلم الناس بالرسول ﷺ وبحقه لم يفعلوا ذلك، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولمَّا أجدبوا في عهد عمر رضي الله عنه لم يذهبوا إلى قبره ﷺ، ولم يتوسلوا به ولم يدعوا عنده، بل استسقى عمر رضي الله عنه بعمه ﷺ: العباس بن عبدالمطلب، أي: بدعائه، فقال رضي الله عنه وهو على المنبر: «اللهمَّ إنَّا كُنَّا إذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليكَ بعمِّ نبينا فاسقنا، فيُسْقَون» رواه البخاري في صحيحه.

ثم أمر رضي الله عنه العباس أن يدعو، فدعا وأَمَّن المسلمون على دعائه، فسقاهم الله عز وجل، وقصة أهل الغار مشهورة، وهي ثابتة في الصحيحين، وخلاصتها: أن ثلاثة ممَّن كان قبلنا آواهم المبيت والمطر إلى غار، فدخلوا فيه فانحدرت صخرة من الجبل فَسَدَّت عليهم الغار ولم يستطيعوا دفعها، فقالوا فيما بينهم: لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوه سبحانه واستغاثوا به، وتوسَّل أحدهم بِبِرِّ والديه، والثاني بعفَّته عن الزِّنا بعد القُدْرة، والثالث بأدائه

الأمانة، فأزاح الله عنهم الصخرة وخرجوا، وهذه القصة من الدلائل العظيمة على أن الأعمال الصالحة من أعظم الأسباب في تفريج الكروب والخروج من المضائق والعافية من شدائد الدنيا والآخرة.

أما التوسُّل بجاه فلان أو بحقِّ فلان أو ذاته، فهذا من البِدَع المنكرة، ومن وسائل الشرك.

وأما دعاء الميت والاستغاثة به فذلك من الشرك الأكبر.

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعوا لهم، وأن يستغيث لهم إذا أجدبوا، ويشفع في كل ما ينفعهم حين كان حيًّا بينهم، فلما توفي ﷺ لم يسألوه شيئاً بعد وفاته، ولم يأتوا إلى قبره يسألونه الشفاعة أو غيرها؛ لأنهم يعلمون أن ذلك لا يجوز بعد وفاته ﷺ، وإنما يجوز ذلك في حياته ﷺ قبل موته، ويوم القيامة حين يتوجَّه إليه المؤمنون، ليشفع لهم؛ ليقضي الله بينهم، ولدخولهم الجنة، بعد ما يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذرون عن الشفاعة، كل واحد يقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، فإذا أتوا عيسى عليه الصلاة والسلام اعتذر إليهم وأرشدهم إلى أن يأتوا نبينا محمداً ﷺ، فيأتونه فيقول: «أنا لها، أنا لها»؛ لأن الله سبحانه قد وَعَدَه ذلك، فيذهب ويخرّ ساجداً بين يدي الله عز وجل، ويحمده بمحامد كثيرة، ولا يزال ساجداً حتىٰ يُقال له: ارفع رأسك، وقُل تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين، وهو حديث الشفاعة المشهور، وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله سبحانه في قوله

تعالى في سورة الإسراء: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، وجعلنا الله من أهل شفاعته، إنه سميع قريب.

السؤال الثالث: يُلاحظ جهل كثير من المحسوبين على الأمة الإسلامية بمعنىٰ لا إله إلا الله، وقد ترتب على ذلك الوقوع فيما ينافيها ويضادها أو ينقصها من الأقوال والأعمال، فما معنىٰ لا إله إلا الله؟ وما مقتضاها؟ وما شروطها؟

الجواب: لا شكَّ أن هذه الكلمة وهي (لا إله إلا الله) هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أن محمداً رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**» متفق على صحَّته، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي الصحيحين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخَذ من أغنيائهم، فتردُّ على فقرائهم**» الحديث متفق عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، وهي تنفي

الإلهية بحق عن غير الله سبحانه، وتثبتها بالحق لله وحده، كما قال الله عز وجل في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾، وقال سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾، قال عز وجل في سورة البقرة: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾، وقال في سورة البيِّنة: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها، ولا تخرجه من دائرة الشرك إلا إذا عرف معناها، وعمل به، وصَدَّق به. وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها.

وهكذا اليهود تقولها وهم من أكفر الناس؛ لعدم إيمانهم بها، وهكذا عُبَّاد القبور والأولياء من كفَّار هذه الأمة يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية جمعها في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإلٰه من الأشياء قد ألها

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل، وتقدم أن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله سبحانه كلها

باطلة.

الثاني: اليقين المنافي للشك، فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله سبحانه هو المعبود بالحق.

الثالث: الإخلاص، وذلك بأن يخلص العبد لربه سبحانه ـ وهو الله عز وجل ـ جميع العبادات، فإذا صرف منها شيئاً لغير الله من نبي أو ولي أو ملك أو صنم أو جني أو غيرها، فقد أشرك بالله، ونقض هذا الشرط، وهو شرط الإخلاص.

الرابع: الصدق، ومعناه: أن يقولها وهو صادق في ذلك، يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فإنها لا تنفعه، ويكون بذلك كافراً كسائر المنافقين.

الخامس: المحبة، ومعناها: أنه يحب الله عز وجل، فإن قالها وهو لا يحب الله صار كافراً لم يدخل في الإسلام كالمنافقين.

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

السادس: الانقياد لما دلَّت عليه من المعنى، ومعناه: أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق، فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته، بل استكبر عن ذلك، فإنه لا يكون مسلماً، كإبليس وأمثاله.

السابع: القبول لما دلَّت عليه، ومعناه: أن يقبل ما دلَّت عليه من

إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله، ومعناه: أن يتبرَّأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَد من دون الله ـ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»، وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: «مَن وَحَّد الله، وكفر بما يعبد من دون الله ـ حرم ماله ودمه» أخرجهما مسلم في صحيحه.

فالواجب على جميع المسلمين أن يحقِّقوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال، وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط؛ لأن المقصود هو العلم بالحق والعمل به، وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

والطاغوت: هو كل ما عُبِدَ من دون الله، كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ومَن كان لا يرضى بذلك من المعبودين من دون الله؛ كالأنبياء والصالحين والملائكة ـ فإنهم ليسوا بطواغيت، وإنما الطاغوت: هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم وَزَيَّنَهَا للناس،

نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء.

وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة، وهي لا إله إلا الله، والتي تنافي كمالها الواجب، فهو: أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها؛ كدعاء الأموات والملائكة والأصنام والأشجار والأحجار والنجوم ونحو ذلك، والذبح لهم والنذر والسجود لهم وغير ذلك.

فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية، ويضاد هذه الكلمة ويبطلها، وهي: لا إله إلا الله، ومن ذلك استحلال ما حرَّم الله من المحرَّمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع؛ كالزِّنا وشرب المسكر وعقوق الوالدين والرِّبا ونحو ذلك، ومن ذلك أيضاً جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع، كوجوب الصلوات الخمس، والزكاة، وصوم رمضان، وبِر الوالدين، والنُّطق بالشهادتين، ونحو ذلك.

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كماله الواجب فهي كثيرة، ومنها: الشرك الأصغر؛ كالرياء، والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك، وهكذا جميع المعاصي ـ كلها تضعف التوحيد والإيمان، وتنافي كماله الواجب، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابه، والإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والأدلة على ذلك كثيرة، أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة وكتب

التفسير والحديث، فمن أرادها وجدها والحمد لله، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

السؤال الرابع: تكثر في العصر الحاضر البحوث والمؤلفات والمحاضرات في إثبات وجود الله وتقرير ربوبيته من غير الاستدلال بذلك على لازم ذلك ومقتضاه وهو توحيد الإلهية، وقد ترتب على ذلك: الجهل بتوحيد الإلهية والتهاون بأمره، فحبذا لو ألقيتم الضوء على أهمية توحيد الإلهية من حيث إنه أساس النجاة ومدارها ومفتاح دعوة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام والأصل الذي يبنى عليه غيره.

الجواب: لا ريب أن الله سبحانه أرسل الرُّسل وأنزل الكُتُب؛ لبيان حقّه على عباده، ودعوتهم إلى إخلاص العبادة له سبحانه دون كل ما سواه، وتخصيصه بجميع عباداتهم؛ لأن أكثر أهل الأرض قد عرفوا أن الله ربهم وخالقهم ورازقهم، وإنما وقعوا في الشرك به سبحانه بصرف عباداتهم أو بعضها لغيره؛ جهلاً بذلك، وتقليداً لآبائهم وأسلافهم، كما جرىٰ لقوم نوح ومَن بعدهم من الأمم، وكما جرىٰ لأوائل هذه الأمة، فإن الرسول ﷺ لما دعاهم إلى توحيد الله استنكروا ذلك واستكبروا عن قبوله، وقالوا كما ذكر الله ذلك عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾، هكذا في سورة ص، وقال عنهم سبحانه

في سورة الصافات: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ ﴾، وقال عنهم سبحانه في سورة الزخرف: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣ ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على علماء المسلمين وعلى دُعاة الهدى أن يوضِّحوا للناس حقيقة توحيد الألوهية، والفرق بينه وبين توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن كثيراً من المسلمين يجهل ذلك فضلاً عن غيرهم، وقد كان كفار قريش وغيرهم من العرب وغالب الأُمم يعرفون أن الله خالقهم ورازقهم؛ ولهذا احتجَّ عليهم سبحانه بذلك؛ لأنه جل وعلا هو المستحق لأن يعبدوه؛ لكونه خالقهم ورازقهم والقادر عليهم من جميع الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، وقال عز وجل آمراً نبيه ﷺ أن يسألهم عمن يرزقهم: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾، قال الله سبحانه: ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة يحتج عليهم سبحانه بما أقرُّوا به من كونه ربهم، وخالقهم ورازقهم، وخالِق السماء والأرض ومدبِّر الأمر، على ما أنكروه من توحيد العبادة، وبطلان عبادة الأصنام والأوثان وغيرها من كل ما يعبدون من دون الله.

وهكذا أمر سبحانه عباده بأن يؤمنوا بأسمائه وصفاته، وأن ينزهوه

عن مشابهة الخلق، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وقال في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾، إلى آخر السورة، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد أوضح أهل العلم رحمهم الله أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ـ وهو: إفراد الله بالعبادة ـ ويوجب ذلك ويقتضيه؛ ولهذا احتج الله عليهم بذلك. وهكذا توحيد الأسماء والصفات يستلزم تخصيص الله بالعبادة وإفراده بها؛ لأنه سبحانه هو الكامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وهو المنعم على عباده، فهو المستحق؛ لأن يعبدوه، ويطيعوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه.

وأما توحيد العبادة، فهو يتضمن النوعين، ويشتمل عليها لمن حقَّق ذلك واستقام عليه علماً وعملاً.

وقد بسَّط أهل العلم بيان هذا المعنى في كتب العقيدة والتفسير كـ(تفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي)، وغيرهم، و(كتاب السنة) لعبدالله ابن الإمام أحمد، و(كتاب التوحيد) لابن خزيمة، ورد العلامة عثمان بن سعد الدارمي على بشر المريسي وغيرهم من علماء السلف رحمهم الله ـ في كتبهم، وممَّن أجاد في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمة الله عليهما ـ في كتبهما.

وهكذا أئمة الدعوة الإسلامية في القرن الثاني عشر وما بعده؛ كالشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وأبنائه وتلاميذه، وأتباعهم من أهل السُّنَّة.

ومِن أحسن ما أُلِّف في ذلك: (فتح المجيد)، وأصله (تيسير العزيز الحميد)، الأول: للشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ، والثاني: للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله.

ومن أحسن ما جمع في ذلك الأجزاء الأولى من (الدرر السنية) التي جمعها الشيخ العلامة عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه جمع فيها فتاوى أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم من علماء القرن الثاني عشر وما بعده في العقيدة والأحكام، فأنصح بقراءتها ومراجعتها وغيرها من كتب علماء السُّنَّة؛ لما في ذلك من الفائدة العظيمة.

ومن ذلك مجموعة الرسائل الأولى لأئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم رحمهم الله، وردود المشايخ: الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، والشيخ عبدالله أبا بطين، والشيخ سليمان بن سحمان، وغيرهم من أئمة الهدى، وأنصار التوحيد؛ لما فيها من الفائدة، وإزالة الشُّبَه الكثيرة، والرد على أهلها ـ رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جنَّاته، وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

ومن ذلك أعداد (مجلة البحوث الإسلامية) التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لما فيها من المقالات العظيمة والفوائد الكثيرة في العقيدة والأحكام.

ومن ذلك المجلدات الأولى من الفتاوى، والمقالات الصادرة مني فيما يتعلّق بالعقيدة، وهي مطبوعة بحمد الله وموجودة بيد طلبة العلم، نَفَعَ الله بها، وغير ذلك مما هو بحمد الله مبسوط في كتب أهل السُّنَّة والجماعة، والله الموفق[١].

السؤال الخامس: نرجو توضيح حكم التعلُّق بالأولياء وعبادتهم والتحذير منها والتنبيه عليها.

الجواب: الأولياء هم المؤمنون، وهم الرُّسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان، وهم أهل التقوى والإيمان، وهم المطيعون لله ولرسوله، فكل هؤلاء هم الأولياء؛ سواء كانوا عرباً أو عجماً، بيضاً أو سوداً، أغنياء أو فقراء، حكّاماً أو محكومين، رجالاً أو نساءً؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، فهؤلاء هم أولياء الله الذين أطاعوا الله ورسوله واتقوا غضبه فأدُّوا حقَّه وابتعدوا عما نهوا عنه، فهؤلاء هم الأولياء وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ الآية.

وليسوا أهل الشعوذة ودعوى الخوارق الشيطانية والكرامات المكذوبة، وإنما هم المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لأمر الله ورسوله ـ كما تقدم ـ سواء حصلوا على كرامة أو لم يحصلوا عليها.

وأصحاب الرسول ﷺ هم أتقى الناس وهم أفضل الناس بعد

---

(١) «مجموع الفتاوى» المجلد السابع (٤٥-٦٦).

الأنبياء، ولم يحصل لأكثرهم الخوارق التي يسمونها كرامات؛ لما عندهم من الإيمان والتقوى والعلم بالله وبدينه؛ لذا أغناهم الله بذلك عن الكرامات. وقد قال سبحانه في حق الملائكة: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، فلا يجوز لأحد أن يعبد الرُّسل، أو الملائكة، أو غيرهم من الأولياء، ولا ينذر لهم، ولا يذبح لهم، ولا يسألهم شفاء المرضى أو النصر على الأعداء، أو غير ذلك من أنواع العبادة؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، وقوله سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾، والمعنى: أَمَرَ وَوَصَّى، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهكذا لا يجوز الطواف بقبور الأولياء ولا غيرهم؛ لأن الطواف يختص بالكعبة المشرفة، ولا يجوز الطواف بغيرها، ومَن طاف بالقبور يتقرب إلى أهلها بذلك فقد أشرك، كما لو صلَّى لهم أو استغاث بهم أو ذبح لهم؛ لقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

أما سؤال المخلوق الحي القادر الحاضر للاستعانة به فيما يقدر عليه فليس من الشرك، بل ذلك جائز، كقول الله عز وجل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾،

ولعموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقول النبي ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهو أمر مجمع عليه بين المسلمين[١].

السؤال السادس: يُقال إن هناك رجلاً من رجال الحظوة وهم يحجُّون بدون وسيلة مواصلات، ويُقال إنهم يحضرون الجنازة في مكة وهم أصلاً موجودون في منطقة بعيدة جدًا، فهل سخرت لهم الريح مثلاً في تنقلاتهم؟ نرجو التوجيه.

الجواب: هذه الأمور لا أصل لها في الشرع المطهَّر، وهي من خرافات بعض الناس الباطلة، وقد يدَّعيها بعض الصوفية الذين يزعمون أن لهم كرامات يستطيعون بها أن يصلوا إلى مكة من دون سيارات ولا طائرات ولا غير ذلك، وهذا من خرافاتهم وكذبهم، وقد يكون لبعضهم اتصال بالجن وعبادة الجن فتحمله الجن إلى مكة وغيرها، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، وغيره من أهل العلم.

فالخلاصة: أن هذه الأخبار إما أن تكون من قبيل الخرافات التي يقولها بعض الصوفية وأشباههم من الذين يزعمون أنهم أولياء ولهم كرامات وهم كاذبون في ذلك، وإما أن يكون من أولياء الشيطان فتحمله الشياطين وتنقله من مكان إلى مكان؛ لأنه عَبَدَها وأطاعها، فلما خدمها وعَبَدَها خدمته في النقل من مكان إلى مكان[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» المجلد السادس (٤١٣-٤١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» المجلد السادس (٤١٣-٤١٥).

السؤال السابع: عندنا ناس كثيرون متمسِّكون بالطريقة التيجانية، وأنا سمعت في برنامجكم (نور على الدرب) أن هذه الطريقة مبتدعة ولا يجوز اتِّباعها، لكن أهلي عندهم وِرد الشيخ أحمد التيجاني، وهي صلاة الفاتح، ويقولون: إن صلاة الفاتح هي الصلاة على النبي ﷺ. فهل صلاة الفاتح هذه هي الصلاة على النبي محمد ﷺ أم لا؟ حيث يقولون: إن من كان يقرأ صلاة الفاتح وتركها يعتبر كافراً، ويقولون: إذا ما كنت تتحمل هذا وتركتها فما عليك شيء، وإذا تحملتها وتركتها تعتبر كافراً، وقد قلت لوالديّ: إن هذا لا يجوز، فقالا لي: أنت وهابي، وشتماني. فنرجو التوجيه.

الجواب: الطريقة التيجانية لا شكَّ أنها طريقة مبتدعة، ولا يجوز لأهل الإسلام أن يتَّبعوا الطُّرُق المبتدعة لا التيجانية ولا غيرها، بل الواجب الاتِّباع والتمسُّك بما جاء به الرسول ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، يعني: قل يا محمد للناس: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ويقول عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾، ويقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، والسُّبُل: هي الطرق المحدثة من البدع والأهواء والشبهات والشهوات المحرمة، فالله أوجب علينا أن نتَّبع صراطه المستقيم: وهو ما دلَّ عليه القرآن الكريم، وما دلَّت عليه سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام الصحيحة الثابتة، هذا

هو الطريق الذي يجب اتِّباعه، أما الطريقة التيجانية أو الشاذلية أو القادرية أو غيرها من الطُرُق التي أحدثها الناس فلا يجوز اتِّباعها إلا ما وافق شرع الله منها أو غيرها فيعمل به؛ لأنه وافق الشرع المطهَّر لا لأنه من الطريقة الفلانية أو غيرها؛ للآيات السابقة، ولقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾، ولقول الرسول ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق على صحَّته من حديث عائشة رضي الله عنها، وقوله ﷺ: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أخرجه مسلم في صحيحه، وقوله ﷺ في خطبة الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وصلاة الفاتح هي الصلاة على النبي ﷺ كما ذكروا ولكن صيغة لفظها لم تروَ عن النبي ﷺ حيث قالوا فيها: اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، وهذا اللفظ لم تَرِد به الأحاديث الصحيحة التي يبيِّن فيها النبي ﷺ صفة الصلاة عليه لما سأله الصحابة عن ذلك، فالمشروع للأُمة الإسلامية أن يُصَلُّوا عليه، عليه الصلاة والسلام، بالصيغة التي شرعها

لهم وعلَّمهم إياها دون ما أحدثوه. ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله، أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «قولوا: اللهم صَلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، ومن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم أيضاً من حديث ابي حميد الساعدي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «قولوا: اللهم صَلِّ على محمد، وعلى أزواجه وذريَّته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى أزواجه وذريَّته، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، وفي حديث ثالث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «قولوا: اللهم صَلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها قد أوضحت صفة الصلاة عليه التي رضيها لأُمَّته وأَمَرَهم بها. أما صلاة الفاتح وإن صحَّ معناها في الجملة فلا ينبغي الأخذ بها والعدول عما صحَّ عن النبي ﷺ في بيان صفة الصلاة عليه المأمور بها، مع أن كلمة «الفاتح لما أغلق» فيها

إجمال قد يُفَسَّر من بعض أهل الأهواء بمعنى غير صحيح[١].

السؤال الثامن: عندنا في السودان شيخ له أتباع كثيرون يتفانون في خدمته وطاعته والسفر إليه معتقدين أنه من أولياء الله فيأخذون منه الطريقة السمانية الصوفية، وتوجد عنده قُبَّة كبيرة لوالده يتبرَّك بها هؤلاء الأتباع ويضعون فيها ما تجود به أنفسهم من النذور، ويضمون الذِّكْر بضرب الدفوف والطبول والأشعار، وفي هذا العام أَمَرَهم شيخهم بزيارة قبر شيخ آخر فسافروا رجالاً ونساءً في مائة سيارة، فكيف توجهونهم؟

الجواب: هذا منكر عظيم وشر كبير، فإن السفر إلى زيارة القبور منكر، قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، ثم إن التقرُّب لأصحاب القبور بالنذور أو الذبائح أو الصلوات أو بالدعاء والاستغاثة بهم - كله شرك بالله عز وجل، فلا يجوز لمسلم أن يدعو صاحب قبر ولو كان عظيماً؛ كالرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا يجوز أن يُستغاث بهم كما لا يجوز أن يُستغاث بالأصنام ولا بالأشجار ولا بالكواكب. أما لعبهم بالدفوف والطبول وتقرُّبهم بذلك إلى الله سبحانه، فهو من البدع المنكرة، وكثير من الصوفية يتعبَّدون بذلك، فكله منكر وبدعة، وليس مما شرعه الله، وإنما يشرع الدف للنساء في العرس خاصَّة؛ إظهاراً للنكاح، وليعلم أنه نكاح وليس بسفاح.

---

(١) «مجموع الفتاوى» المجلد السادس (٤١٩-٤٢٢).

كذلك من البدع ووسائل الشرك البناء على القبور واتخاذها مساجد؛ لأن النبي ﷺ نهى عن تجصيص القبور والبناء عليها والقعود عليها، كما روى الإمام مسلم في «الصحيح» عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فيجب أن تكون القبور ضاحية مكشوفة ليس عليها بناء، ولا يجوز التبرُّك بها ولا التمسُّح بها، كما لا يجوز دعاء أهلها والاستغاثة بهم، ولا النذر لهم، ولا الذبح لهم، فكل هذا من عمل الجاهلية.

فالواجب على أهل الإسلام الحذر من ذلك، والواجب على أهل العلم أن ينصحوا هذا الشيخ، وأن يعلموه أن هذا العمل عمل باطل ومنكر، وأن ترغيبه للناس في الاستغاثة بالأموات ودعوتهم من دون الله أن هذا من الشرك الأكبر والعياذ بالله، ويجب على المسلمين أن لا يقلدوه ولا يتبعوه ولا يغتروا به، فالعبادة حق الله وحده وهو الذي يُدْعَى ويُرْجَى، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾، فسمَّاهم كَفَرَة بدعوتهم غير الله من الجن والملائكة وأصحاب القبور والكواكب أو الأصنام، كل هؤلاء دعوتهم مع الله شرك أكبر، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾، يعني: المشركين، وعلى جميع مَن يستطيع إنكار هذا المنكر أن يساهم في ذلك، وعلى

الدولة إن كانت مسلمة أن تمنع ذلك وأن تُعَلِّم الناس ما شرع الله لهم وأَوْجَبَه عليهم مِن أَمْر الدين؛ حتى يزول هذا الشرك وهذا المنكر. نسأل الله الهداية للجميع(١).

السؤال التاسع: بعض الناس في قريتنا يقومون بإحضار مجموعة من المشايخ ممَّن لهم دراية بقراءة القرآن فيقرؤون القرآن بحجة أن هذا القرآن ينفع الميت ويرحمه، والبعض الآخر يستدعي شيخاً أو اثنين لقراءة القرآن على قبر هذا الميت، والبعض الآخر يقيمون محفلاً كبيراً يدعون فيه واحداً من القرَّاء المشاهير عبر مكبرات الصوت ليحيي الذكرى السنوية لوفاة عزيزه، فما حكم الدين في ذلك؟ وهل قراءة القرآن تنفع الميت على القبر أو غيره، وما هي الطريقة المُثْلىٰ لمنفعة الميت؟ أفتونا جزاكم الله عنا خير الجزاء، ولكم منا جزيل الشكر والامتنان.

الجواب: الحمد لله، وبعد: هذا العمل بدعة لا يجوز؛ لقول النبي ﷺ: «مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَد» متفق على صحَّته، وقوله ﷺ: «مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَد» أخرجه مسلم في صحيحه، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ولم يكن من سُنَّته ﷺ ولا من سُنَّة خلفائه الراشدين رضي الله عنهم القراءة على القبور، أو الاحتفال بالموتى وذكرى وفاتهم، والخير كلّه في اتِّباع الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين ومَن سَلَكَ سبيلهم كما قال الله

(١) «مجموع الفتاوى» المجلد السادس (٤١٧-٤١٨).

عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾، وقال النبي ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفَاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»، وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يقول في خطبته يوم الجمعة: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أوضح النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة ما ينفع المسلم بعد موته فقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَع به، أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه مسلم في صحيحه، وسأله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ فقال ﷺ: «**نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصِلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**»، والمراد بالعهد الوصية التي يوصي بها الميت، فمن برّه إنفاذها إذا كانت موافِقة للشرع المطهَّر. ومِن برّ الوالدين: الصدقة عنهما، والدعاء لهما، والحج والعمرة عنهما، والله وليُّ التوفيق[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» المجلد التاسع (٣١٩-٣٢٠).

الفهـرس